

# المقارن

الفرق الاجتماعية

أخواري الأعراء

لا بد أنكم قرأتم أموراً كثيرة عن ذلك الفيلسوف الإنكليزي الشهير داروين. اصطدمت محيطة هذا العالم الطبيعي صاحب الفكر الثاقب والنظر النافذ بحادثة فجائية تجلت أمامه أينما حل وحيشما ذهب، حادثة عامة وجدها تتناول جميع ما يدخل تحت عنوان الحياة نباتاً كان أم حيواناً: تلك الحادثة، كما تعلمونها عي التنازع على البقاء أو بتعبير أخص من عزم على محافظة حياته. وجب عليه أن يتجهز لرد طوارق الحدتان التي لا بد من أن يصطدم بها في كل آن.

جلبت نظره تلك الحادثة العامة فابتدأ من ساعته يبحث عن دواعي ذلك التنازع والأسباب التي تؤد لقوية بعضهم وتفوقهم وإضعاف الآخرين وتفهمهم. فمكن جملة الأسباب التي وجدها، الصر على شدائد الطبيعة، والتفوق من جهة الاقتدار المادي والمعنوي، وتزايد النسل عند فريق أكثر من الآخر غير أنه لم يقف عند هذا الحد بل واصل البحث والتنقيب حتى ظهر له بأن نتيجة هذا التنازع الدائم بين العناصر الحية هو بقاء الأنسب في العالم وأن السيادة مع تقلب الزمان تبقى في أيدي

أولى العزم والتدبير فوجد على توالي الأيام أن الضعيف محكوم عليه والقوي حاكم،  
أو بعبارة أقرب إلى الحقيقة، الضعيف يموت والقوي يسود.

فهذه حقيقة قد أيدها علماء كثيرون قبل داروين، وفي جملتهم الفيلسوف العربي  
الشهير ابن رشد فإنه قال: (ليس على الضعيف على مر الأزمان إلا حالتان، إما أن  
يموت مذلولاً وإما أن يصطل بأقوى منه فيكتسب صفاته وبذلك يقوى فيهل عليه  
التراخ مع معامع الحياة) ولكن داروين، أيها الأخوان، لم يكن يثبت ما ذكر بل  
تدرج من القانون العمومي، قانون بقاء الأنسب، وظهر بنظريته المسهورة التي طالما  
تجادبتها العقول وتشاحذت بها القرائح والأذهان وهي: الارتقاء في العالم.

سردت لكم أيها الأخوان هذه العبارات لا لأنني أريد شرح نظرية ذاك العالم المدقق،  
ولو أردت ذلك حقيقة لأضحككم حالي لعلمكم أن الوقت ضيق جداً وأن شرح  
تلك النظرية يتوقف على معرفة مسائل همة لا تدخل في موضوعنا كما أني لست  
بقادر على إتقانها، وإنما أردت أن أذكركم والذكر لا تنفع، أن الحياة ليست كما  
يتوهمها كثير منا، فالطفل لدى خروجه من حجر أمه يقع في ارتباك ظاهر لما يتهاجم  
عليه من العوارض الكثير: فلمسة يد تؤذيهِ ولفحة قر تؤثر فيه. فيربو وينمو بين  
حرص الطبيعة وصعوبة المعيشة وكلما تقدم في السن كثرت احتياجاته وتراكمت  
عليه المشاكل وتضاعفت على جانبيه الرقباء حتى إذا ما أراد شيئاً وجد ألوفاً مع  
الموانع تزاحمه.

فهذه المناقشة أو بالأحرى هذا التراخ والتراحم يتجلى بكل سعته وشدته عندما يخرج  
الإنسان من المدرسة إذ يكون حينئذ قد قضى على زمام إرادته وافلتت من الحماية  
العائلية فيدخل إذ ذاك في حياة جديدة يطلب الرغيف والراد متكلاً على قوة ساعديه  
وقيمة كسبه فالوسط الذي يلجج فيه أناساً كثيرين يزاحمونه على مرغوبه

ويحولون بينه وبين مطلوبه. وهناك الطامة الكبر إذا لم يكن قادراً على دفع المشكلات وإزالة العثرات.

فحالة الأمم في وقتنا هذا لا تختلف عن حالة الأفراد إن لم تكن أشد وطأة وأعظم خطراً. فالأمة لا تنظر إلى حقائق الأمور بعين الاعتبار وتقبل نفسها بمجاراة مجاوريتها في سيل الرقي الأدبي والمادي تحسي ولا شك متدهورة في هاوية الدمار من حيث لا تشعر تحتار السر وهو أشأم أصناف الانتحار وأفظعه.

قلنا أنه يجعل الأمة أن تنظر إلى عواقب الأمور وتسعى بكل جهدها وطاقاتها وتستعمل جميع الوسائط لترقية أبنائها لا لترقيتهم بصورة مطلقة إذ أن ذلك لا يكفي، بل لإيصالهم إلى درجة يقدرون بها، بواسطة التعاون والتضامن بينهم، على الاحتفاظ بحريتهم وشخصيتهم لا جرم أنكم تعلمون أيضاً أن بعض الأمم في حالة من الرقي تختلف درجاته غير أن الرقي النسبي لا يجعل أحد منكم أن فرنسا تجتهد كل الاجتهاد لترديد نفوسها ويحق لها أن تضرب كل الاضطراب في الوقت الحاضر. أو بينا ترى نفوسها تزداد مائة وثلاثة آلاف في خمس سنين أي من تاريخ ١٩٠٥ إلى ١٩٠٩ فألمانيا قد زادت في الوقت نفسه، بما يربو عن الأربعة ملايين ومائتين وسبعة وأربعين ألفاً في حين أن إنكلترا وعدد سكانها ٣٦ مليوناً ما عدا نفوس إيرلاندا واسكوتلاندا قد زادت سنة ١٩٠٩ فقط بما يقدر بأربعمائة وثلاثة عشر ألفاً فالزيادة المطلقة التي وقعت في فرنسا في هذه المدة هو سبب ضعفها لعدم كفايتها بالنسبة لمجاوريتها فهذه الزيادة العظيمة في ألمانيا تدعوها إلى أن تريد عسكرها إلى ٧٠٠ ألف مقاتل في وقت السلم وأن تتداخل في مسائل أعاديرو وغيرها مضطرة لا مختارة وتحل أصقاعاً جديدة لعينها وقت الشدة.

ذكرت لكم هذه الأمثلة لألفت نظركم إلى أننا في ضيق وأن الوقت حرج جداً ومن ضيع الفرصة لا ينفذ أن يعرض أصابعه ويندم حيث لا ينفع الندم. فيكتفي بمدح ماضيه ويعقد يديه أمام المستقبل. فمن أحب وطنه وعشقه حقيقة وجب عليه قبل كل شيء أن يصلح نفسه ويزينها بالعلوم العصرية ثم يفكر بأن هناك أمة له عليها حقوق عديدة منها حق بقائه فيجتهد إذ ذاك للقيام بواجبه نحوها وإيصالها إلى درجة الرفي والإسعاد، درجة تمنحها حق البقاء بين الأمم الحية.

أخواني، لا تظنوا بأني أعرض بالذم يفخرون بماضيهم لأني أعتقد أن الإنسان لا يمكنه تسليق سلم المعالي إلا إذا عرف نفسه ومعرفة النفس لا تتم إلا بتعرفة الآباء والأجداد وما تركوا من الآثار. لأن الإنسان ليس ابن يومه بل ريب أمه وأن هناك سلسلة تربطه، شاء أم أبي بالماضي. وما أصدق ما قاله الفيلسوف الشهير رنان الأمة مؤلفة من أمواتها أكثر من أحيائها فمن أراد خدمة أمته كان جديراً بأن يبحث عن ماضيها ويدرس تاريخها ويكشف التراب عن تلك الجذور التي تسنده في حياته دون أن يراها ثم يستعين بما لخدمة مبدأه وتعزيز غايته، غير أنني قصدت بقولي إذ ذاك من يتحس مفاخرها بقومته مع أنه يجهل أصلها وفرعها يجهل رجالها وآثارها، قصدت بقولي من يصرخ دائماً، أمي، أمي، كانت صاحبة علم ومجد، صاحبة مدينة عظيمة، أوليست هي مهد المدينة الغربية؟ . . . وكلها جمل مفخمة سمعها من رفيقه واكتفى بتردادها في كل محفل ومحضر دون أن يفكر بأن الألفاظ لا قيمة لها إذا لم تستند على دلائل علمية وأدلة حجة.

من حب أمته فليبحث عن أحوالها وآثارها وليجتهد في تلقح ما هو موفق من المدينة الغربية فيها. نحن العرب، يقال عنا أننا أذكىء، فلو سمعنا بهذه القضية أليس يجدر بنا أن نفهم الآن أننا في القرن العشرين، قرن الجهاد المتصادي والسعي المتوالي وإن

الذكاء وحده لا يكفل للإنسان حياته إذا لم يأخذ بالأسباب بإرادة أشد من الحديد. نعم عن هذه الصفات صعبة المنال غير أنه يجب على الإنسان أمام المصاعب أن لا يفتأ إن الأمة لا تعتمد على حالها وليس لها ثقة بأفرادها تكون قد أساءت الظن بنفسها ومن أساء الظن بنفسه تدرج إلى اليأس وهناك الطامة الكبرى إذ ليس بنتيجة اليأس إلا الفتور والحمول.

فحينئذ يجب على كل أمة أن تنتبه كالأفراد إلى شخصيتها وتأنب إلى يوم معلوم. يوم لا بد أن تحتبط مع غيرها فيه فإذا كانت خيرة متيقظة في أمورها حازت نصيب السباق والا وقعت كما هي حالتنا الآن في هوة الذل والهوان.

تذكرون ولا ريب قول ذلك الحكيم الاجتماعي مونكيو بحق القوة: القوة تجري إلى أن تجد مانعاً فيصدها فهذا القول ينطبق على جميع القوات طيبة كانت أم اجتماعية. أليست تشكيلات أوروبا السياسية ومجمعها حول الاتفاق والائتلاف مستندة على هذه النظرية أوليس ضعفنا وتشتت شملنا هو الذي أطع الحكومات البلقانية أن ترحف علينا بقواتها وترغب في ابتلاعنا. الساهل بالأمور وحسن النية والاتكال على الغير أمور لذيدة. لأنها هيئة التناول ولكن يا للأسف إننا نرى السياسة متلونة ولا تلون الحرباء لا ثقة بما مطلقاً. وما الساهل وحسن النية بالأمور إلا بلاهة ومكنة.

كنت أظن أننا قد اعتبرنا بما قد أتى على رؤوسنا من الدروس التي أوشكت أن تضي علينا بتاتاً، كنت أظن أنه لم يبق أحد في المملكة العثمانية إلا وقد اعتبر بما انتهت إليه سياستنا العنصرية التي بعثرت قروانا وكالات تفرق قلوبنا بعضها عن بعض ولكني وجدت ويا للأسف - بالرغم عما كنت آمل - منشئاً يكتب السطر الآتية في جريدة تنشر في العاصمة: العناصر المختلفة التي تعيش في السلطنة العثمانية لا يمكنها أن

يكون لها قوة نافذة بجانب العنصر التركي. منذ خمسة عصور ونحن عائشون تحت عنوان العثمانية، ففي القرن العشرين ينبغي أن نعيش تحت عنوان الترك؟

لم اذكر لكم معشر الشبان الكرام هذه الأمثلة إلا على سبيل الاستطراد وليس جديراً بالإنسان أن يغالي بسوء الظن، لأن التسامح واجب والتعاقد ضروري خصوصاً في الهيئات الاجتماعية - غير أنه ينبغي علينا أن لا يحسن الظن بما يستحقه وأن ينظر إلى المستقبل بعين الدقة خصوصاً إذا كانت حياة أمة في موضع البحث وأن يعتمد على نفسه واجتهاده وعند الحاجة يكون مقتدرًا على العمل بوصية الشاعر:

وإذا بليت بظالم كن ظالمًا ... وإذا لقيت ذوي العدالة فاعدل

أحوالي الكرام،

أريد الآن أن أتكلم عن التربية الاجتماعية أو بالأحرى عما تحتاج إليه التربية الديمقراطية.

والذي دفعني لتخصيص هذا البحث في هذا الموضوع ظاهر على ما أظن. لأن هذا الفرع من التربية هو الذي شغل أكثر المفكرين لتناوله جميع الأفراد وله في وقتنا الحالي مكانة عظيمة عند الأمم الراقية.

إن الوقت الذي كانت تستعد به الأمم بحجبيء رجل ذي دهاء يتولى أمورها قد قل حظه وسيدفن عن قريب بين صفحات التاريخ وإن الدور الذي كان الأمر فيه بيد شخص واحد يتصرف كيف يشاء قد مضى وانقضى وها نحن الآن في زمن، لصغر القوم وكبرهم حقوق يطالب بها ووظائف يدعى إلى القيام عليها، يشترك برأيه بتهمام الأمور ويضع إصبعه في كل مسألة تتعلق بحياة أمته وارتقائها فمن ثم وجب عليه أن يكون قادرًا على تمييز الغث من السمين ليفيد الهيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها بسعيه وعلمه. هذه المسألة من أهم المسائل الاجتماعية قدرتها أهم الغربية حق قدرها

وهي تشغل ليلاً ونهاراً بتطبيقها. بنشر العلم وتعميم الفائدة بين جميع أبنائها حتى يكون كل فرد مفيداً لأمنه برأيه وسعيه وعلمه وماله.

إن من الأفراد من يعلقون آمالهم وترقية أمتهم على حياة شخص واحد. إن الأمة التي لا يمكنها أن تكون معجزة الرجال والتي تعلق شقاءها وسعادتها على شخص واحد ليس لها الحق في أن تدخل مصاف الأمم الحية. الأمة الحية هي من إذا فقدت بالمرستون أنماها بيكونسفيد ومن إذا أضاعت بيكونسفيد داءها غلادستون ثم شامبرلين، فساليسبوري، فالسفور فاسكويس من الرجال الدهاة والأمة الحية هي التي تملك أمثال هؤلاء الرجال ولا يهنا إذا سقط واحد فإن هناك جماً غفيراً قادراً على أن يخلفه. فالروح الأساسية هي التي تأتي بالأعمال العالية هي روح الأمة من حيث المجموع ولا تظن أن بسمارك كان يمكنه أن يفعل ما فعل ويوحد العنصر الجرمانى تحت يد واحدة لو لم يكن مستداً على أمة غداؤها العلم والانتظام وأعني بما التربية المدرسية والروح العسكرية ولا تظن بأن نير الفرنسوي كان يستطيع دفع الخمسة مليارات ويخلص وطنه بمدة وجيزة لو لم يكن وراؤه أمة تعودت الاقتصاد وتأصلت فيها مزايا الاستثمار.

فحري بما نحن أبناء العرب أن نفتفي إذا أردنا لنفسنا حياةً حرةً أثر تلك المم وأن نبث روح التربية الديمقراطية بكل صقع من أنحاء جزيرة العرب وسورية.

إن الأخصائين في هذا الفن قد عرفوا التربية بصور عديدة فقال الفيلسوف الألماني (كانت) التربية تنمية الصفات الكمالية في الإنسان بقدر ما تستطيع طبيعته أو بقدر ما يتحمل استعدادده. وتقول مادام نكور دوسو سور وهي آنسة اشتهرت بهذا الفن: تربية الطفل، هو إيصاله الحالة بقدر بها أن يفني بوظائفه الحيوية بأحسن صورة، ويرى هوبرت ميسر أن التربية هي إحضار الطفل للحياة الكاملة، وعرفها جيمس ميل

الفيلسوف الأميركي هكذا المقصد من التربية هي جعل الطفل آلة سعادة لنفسه ولغيره.

وبعد فإن جميع ما ذكرناه من التعاريف في التربية يعلق بغايتها لا بذاتها ويحلو أحدهما من الإبهام. لأنه إذا سئنا ما هي الحياة الكاملة وما هي السعادة يصعب علينا أن نجاب جواباً شافياً لأن هذه الكلمات تدل على أشياء نسبي لا يمكن حصرها ثم فهمها. عرف جان جاك روسو التربية بذاتها فقال: التربية هي صعة لتسية الأطفال وإعداد الرجال فحسن هذا التعريف أنه قصير ومختصر غير أن قصره المفرط ولد فيه نوعاً من الإبهام.

ولذلك أرجح التعريف الآتي وإن كان مطولاً غير أنه يدل على المقصود ويؤلف بين التعارف التي ذكرناها التربية هي مجموع الأعمال المفكرة لمعاونة طبيعة الإنسان في ترقية خصائصه الجسية والعقلية والأخلاقية، بقصد تكامله وإسعاده وإيفاء وظيفته الاجتماعية فهذا التعريف يجلو للأنظار بأن التربية ينبغي لها أن تطبق على الصفات الثلاث المتم بعضها بعضاً في الإنسان وهي الصفات الجسمية والفكرية والأخلاقية.

أستاذكم أن أتبع كلمتي في التربية الديمقراطية بما يتعلق بالمعلومات الأساسية والصفات الفكرية والإرادية التي يجب أن تؤسس في عقل الطفل من حيث أنه عضو فعال وأن يكون بحثي بصورة خاصة في الولد الذي دخل مدرسة لتكميل ما تعلمه لأجل ذلك خصصت بحثي بالتربية وتركت تربية الأسرة والتربية اللا مدرسية (إن صح التعبير) أي التربية الذاتية بعد الخروج من المدرسة. وفي بذلك مآرب يهتم الحياة العربية.

لا بد أنكم اطلعتم على بعض المقالات التي نشرت في المدة الأخيرة على صفحات الجرائد في دمشق تحت هذا العنوان المبادئ العالية فتوالت المقالات على إثر انتشار

المقالة الأولى حتى ظن أنه يوجد اختلاف بين آراء الكتاب في هذا الشأن ولكن الخلاف لم يكن إلا اختلافاً وهمياً لمن ادعى أنه لا صلاح إلا بإصلاح الأسرة فقد نطق بالصواب لأن العائلة على التحقيق هي أساس كل جمعية وقوامها. غير أنه إذا سئل كيف تصلح الأسرة، فماذا يكون إذا الجواب؟

أستمكن الأبوان أن يتفرا على تربية ابنهما أو بنتهما مع أنهما لا يفقهان ما هي التربية وما معناها، وهل يكفي أن يلقي الآباء والأمهات معنى التربية بواسطة المحاضرات والمؤلفات والجراند وهل هم يحسنون القراءة وإذا قرؤوا أو توصلوا لفهم معنى التربية هل يتمكنون من تطبيقها وهل يمكننا أن نغير طبائعهم وعاداتهم بعد أن وصلوا إلى تلك السن ونعلمهم الثبات والدوام في العمل لأجل أن يتيسر لهم اقتطاف الثمرات أن يمكننا أن ندخل البيوت ونأخذ النفس بتربية الأطفال. كل هذا وهم باطل إذا فلتوجه أنظارنا إلى المدارس لأن هناك آمالنا وهناك مستقبلنا هناك يمكننا أن نؤثر في الطفل وأن نغرس فيه بقدر الإمكان بعض الطباع الحسنة ونعلمه الثبات والمضاء إنني لا أنكر ما للمؤلفات والمحاضرات من الخدم العظيمة بهذا الشأن كما أنني أعتقد أن تلك الخدم بالرغم من مكائتها ثانوية بالنسبة لتربية أمة كآمتنا.

قلت أن المكتب هو الذي يجب أن يكون المبدأ لتربيتنا: لأن الولد الذي يتيسر له نيل تربية حقيقية في المدرسة يمكنه أن يؤثر في إصلاح أسرته وأن يكون سبباً لإسعاد أولاده وترقية أمتهم في المستقبل. ولكن من لنا بأن يربي تلك التربية التي أشرنا إليها في مدارسنا. أولئك الرجال الذين يعلمون فيها الآن؟ فكفى بنا ذهولاً واسمحوا لي بأن أهتف إلى الغرب الغرب.

لنرجع إلى موضوعنا أي إلى كيفية المعلومات الأساسية والصفات التي تتعلق بالفكر والإرادة والتي يجب على المعلم أن يلقيها تلميذه بصفته عضو من أعضاء هيئة

اجتماعية وديمقراطية ولذا فليبدأ بالتربية العقلية لأن التربية الجسدية المدرسية وضررها معلوم عند الجميع.

قلت فليبدأ بالتربية الفكرية لأن الطبيعة الأخلاقية في الرجل وإن كانت هي التي تعطيه القوة اللازمة لاقتحام المصاعب غير أن الذكاء هو الذي يبرر طريقها ويعين لها وظيفتها.

وعليه فلتربية يجب أن يكون أساسها العلم وأن تستند في جميع أوقاتها على مكتشفاته وأصوله الثابتة. لأننا في قرن الحقائق العلمية والخرافات الناشئة عن الجهل، التي تدرس في مدارسنا بدون أن يشعر بها المعلم هي لائقة بعصر كان للخرافات والتخريفات فيه حظ وجمال. فالعقل البشري في عصرنا هذا خاصة لا يطاق لسهولة أمام البداهة العلمية

ولكن ماذا يفهم من قولنا أن العلم يجب أن يكون روح التربية الفكرية في مجتمع ديمقراطي؟

هل يمكننا أن نطلب من الخلق بأن يملكوا كلهم فنون العلم بخدافيرها ويمثلوا بها. كلا! فإن ذلك لا يدخل تحت دائرة الإمكان. وحيث أن الجمعية مرتبة من أعضاء محصلين في استعداداتهم وطبائعهم فقسم منهم بطبيعة الحال يبرع مثلاً بالعلوم الاجتماعية وآخر بالعلوم الرياضية وآخر بالتجارة والصناع والزراعة. . . الخ. وعلى كل منهم أن يكون عالماً في صنعة أمراً كان أو مأثوراً وما العالم إلا من أخصى في شعبة من شعب الفنون الحاضرة فعليه ليس المقصد، كما قال رنان، أن يكون كل الأفراد علماء بل المقصد أن يشترك الكل بشرات العلم أو بعبارة أجمل كما قال نوسيديد ليس المقصود أن يكون فرد قادراً على حل كل المعادلة بل يكفي أن يقتدر على إدراك النتيجة من حلها.

فعلية ماذا يترتب لاستحصال هذه النتيجة العامة التي يجب أن تشمل الجميع بدون استثناء؟ أو عبارة أخص وأوضح ما هي الأمور الضرورية التي يلزم نشرها بين جميع أبناء العرب تلك الأمور ثلاثة. أولاً نشر الحد الأصغر من المعارف الأساسية بين جميع أبناء الناطقين بالضاد ثانياً تأسيس عادات فكرية حسنة ثالثاً نشر بعض المعلومات التي تتعلق بالاكتشافات الفية.

الحد الأصغر الذي يجب نشره من المعارف لا يمكن تحديده بصورة قطعية، لأنه يتغير بتغير الأحوال والاسعدادات فمنهم من يبرعون ومنهم من يتأخرون غير أن القاعدة العامة هو أن يبدأ بنشر المعلومات الابتدائية التي هي بمثابة الآلات الضرورية لترقية الفكر في المستقبل كالقراءة والكتابة وبعض قواعد اللسان العربي والحساب بإضافة بعض المعلومات التي تتعلق بالتاريخ وتما يحيط بالإنسان إذ لا بد لها لمعرفة الماضي والحال وإنارة طريق المستقبل فإذا دعت هذه المعلومات الابتدائية بصورة مختصرة معقولة وبواسطة المدارس على الحصص تمكن الرجل من أن يوسع معارفه فيما بعد بدرس المؤلفات وسماع المحاضرات هذا إذا لم يدخل في إحدى المدارس العليا ولم يساعده الحظ على إتمام عقبات العلم.

غير أن المقصد الأساسي من تلقين هذه المعلومات الابتدائية يلزم أن ينصرف لتأسيس عادات وطبائع فكرية حسنة بحيث يكون الرجل صاحب فكر سليم في جميع أفعاله ومحاماته وأن يعود فهم الحقائق بدون أن ينخدع بالظواهر وأن يرى، كما قال المسير ألفرد كروازي، مدير كلية العلوم الأبية بباريس، من وراء الكلمات المعاني، ومن وراء المعاني، الأشياء بذاتها. المقصد من المعرفة أن يستطيع الإنسان فهم الحقائق والحكم على الأشياء لا يتيسر إلا بالاطلاع على كنهها ومعرفة القوانين التي تدار بها.

سلامة الفكر تقتضي نفوذ النظر وشدّة الثبات لنيل المقصد والذي يجب أن يولد عند الطفل الميل لمعرفة الحقائق لأجل أن يستعملها، يجب كما يقول ديكارت الفيلسوف، أن تمثل بالأشياء بدل من أن نقودها بميولنا الهوائية. الطبيعة لا تقاد لمن يغضب عليها بحمق وجهالة، لأن الغضب وسواد عندهما سواء. وماذا يا ترى، نفع كيكافوس عندما أخذ السوط بيده وجلد به البحر ليؤديه على هيجانه أمامه.

فعلية يجب علينا أن نعود الطفل النظر في الأشياء بعين البصيرة والتروي وأن نولد عنده طبيعة البحث عن حقائق الأمور والمثابرة على العمل ليتلذذ بشراته.

قلت أن المثابرة على العمل والبحث ضروريان لكل شخص إذا أراد أن يتمتع بشرات حياته ويا للأسف معاشر أبناء الشرق واخص أبناء العرب تقصنا هذه الفضيلة الاجتماعية؟ لأن لذة التحصيل ومعنى الحياة لم تمازج أرواحنا فالذي يخرج منا من إحدى المدارس العالية يعد نفسه أنه وصل إلى منتهى الكمال في العلم؟ فيعقد يديه ويتمدد على سريره كأنه بلغ الغاية القصوى. هذه حالتنا الآن وهذه حالتنا في زمن ليس بقريب. درس كلوت بك أحد المستشرقين أخلاق العرب على عهد محمد علي باننا الكبر بمصر وسورية فامتدح منهم وأعجب بذكائهم وسرعة انتقائهم وقال إنهم لا يقصرون عن أبناء الغرب شيئاً غير أنهم يملون بسرعة ولا يداومون العمل بصورة جدية.

فهذه الخصلة، أيها الأخوان، من انعس القناص الاجتماعية في زمننا هذا ولقد ثبت أن الألمان لم ينجحوا وبرزوا أكثر الأمم إلا لأن هذه الصفة امتزجت بطباعتهم وقبضوا عليها أكثر من غيرهم. فيكنا نحن العرب، والأمثال عديدة احتذاء مثال النامضين بأن نعطي للحياة حقها ونخلق بهذه الصفة الضرورية لنا إذا أردنا أن نخدم أنفسنا ونقوم بأمتنا.

بقي عليّ أن أقول كلمة في القسم الثالث ألا وهي الأفكار العامة التي يجب أن تلقن للطفل في صغره. أول شيء يمكننا أن نعلمه للطفل أن يعرف شخصه ومن هو وإلى أي أسرة ينتمي، وبأي لسان أمة ينطق ومن هي تلك الأمة التي يرتبط بها بعاداته وطباعه ثم نتقل به إلى الأمم الأخرى بحيث تدخل في ذنه النقطة الأساسية وهي الفرق بين الماضي والحاضر فنشأ له بذلك فكرة عامة وهي فكرة الترقى الدائم في العالم. يلزم أن يعرف أن العالم لا يتبع الأهواء والأهوية في تقلباته ودورانه بل هناك نظام وقوانين يدار بها يخضع لها لا بد أنكم توهمتم بعظم هذه التعبيرات التي ذكرتها كالرفي الدائم والنظام في العالم، وسألتم أنفسكم كيف يمكن تلقين ولد حديث السن فهم هذه الحقائق العالية ولربما ضحك بعضهم في سره من هذا الفكر.

نعم ليس المقصد أن يدخل المعلم في تفاصيل هذه المسائل لأنه يتحيل عليه إفهامها كلها للطفل ولكن يمكنه أبداً أن يوضح ما أشرنا إليه بيان الخطوط الأولى فقط المدونة في التواريخ والكتب الاجتماعية. وعلى وجه الاستدلال أريد أن أنقل لكم عبارة للمؤرخ العالم الكبير المسيو لافيس أحد أعضاء المجمع العلمي بباريز قال: إن التقلبات التي أتت على الإنسانية مرثية محسوسة ولا حاجة للإنسان لأن يكون عالماً نحريراً أو فيلسوفاً كبيراً ليتمكن من التوقف على سرير الروح البشرية التي تقلبت بين الأعصر العابرة لا يكتف المعلم بتفهم شروط الحياة بين الأدوار المهمة فقط وليقل مثلاً أن الإنجيل يفرق بين كليتمنستر ولاسل وأتالي لرسين والحروب الصليبية بين أشيل والسيد والصليب بين أفلاطون وباسكال وبين الفروق الأساسية بين القسرين فعندها يحس الولد من نفسه بأنه منقاد بتاريخ الإنسانية على الدوام. وفي الوقت نفسه يفرده معلم التاريخ من الجمعيات الابتدائية إلى أن يوصله إلى الجمعيات الحاضرة بشرط أن يوقفه على الأصول ويهمل ما دون ذلك من الفروع.

ويدهي أنه لا يمكن استحصال هذه الشروط ولا يتسر توسع الفكرة وإنارة الذهن إذا لم يكن هناك حرية فكرية مطلقة. فالحرى هي غذاء الفكر وقوامه ويدونها يصح الفكر كالعصو المعطل عن الحركة فبعد أن يمضى عليه مدة من الزمن يتحضر ثم يعجز عن الإتيان بعمل واحد أحب أن أذكر لكم هذه الأمثلة التاريخية بهذا الشأن.

دخلت الدجة دورليان ذات يوم سنة ١٨٤٢ ومعها ولدها على فيكتور هوجو وسألته ماذا يجب أن تعلم ولدها فقال: يجب أن تعلبه أن فرنسا تقيد العالم بأسره وأن الذكاء يقيدهما. ماذا كان القصد من هذا الجواب يا ترى؟ القصد، هو أنه إذا ساعد الحظ ابنها الدوج دي باري وجلس على سرير السلطنة بعد والده لوي فيليب، يعرف أن الفكر حاكم على كل شيء وأن مراعاته واجبة حتى على الملوك فالحقيقة لا يقف شيء أمام الإنسان إذا كان متصبراً مستداً على حرية الفكر وقوة الإرادة.

وهاءنذا أختم حديثي بكلمات عن التربية الأخلاقية فأقول: تعرفون ولا بد أن قسماً من الأخلاق تكون على مدى الأزمان وسير الأيام بصورة قطعية فالمذاهب والأديان العالية كلها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل: يلزم عليك أن تطيع والديك وتعين جارك وتحافظ على حرماتك وتصبر على الأجن والآلام وتفتش عن السعادة باكتساب الفضائل فهذه الأحكام هي أحكام ثابتة، تتعلق بغايات عالية وبمقاصد شريفة. غير أن هناك صفات أخرى من الأخلاق بالنسبة إلى التشكلات الاجتماعية الحاضرة يجب أن تضاف إلى القسم الأول وأن ترسخ في عقول الأطفال وهذه الصفات تدعى بالأخلاق المدنية فأريد أن أجعلها كلمتي الأخيرة.

المقصد من الخلاق المدنية مزدوج فمن جهة، هو توليد فكر الاستقلال الشخصي في الطفل وجعله قادراً على أن يأتي بأعمال شخصية مثمرة، من الجهة الأخرى السقاء

حسن التأليف بين الأعمال واستقلال الإرادة وسوقها إلى هدف معين. فالمراد من الأول هو الشخص ومن الثاني الجمعية. فالأول يقوي الفرد على السعي والعمل والثاني يحمله على إشراك مساعيه مع غيره فنقول بذلك لتأمين منفعة الشخص ومنفعة الهيئة الاجتماعية معاً. ولا شك بأنه يتيسر للأمة رقيها ولجأها إذا كان الأفراد أقرباء متقدمين على فكر التعاون والتضامن.

الرجل القوي صاحب الاستقلال الشخصي والجرأة المدنية هو، على مذهب سقراط، من تغلب العقل فيه على الأميال والذي إذا تحقق لديه عس نافع وغاية شريفة مشى نحوها بقدم ثابتة دون أن يبالي بكثرة الموانع وازدحام المهالك.

المستر روزفلت، رئيس جمهورية أميركا الشمالية سابقاً، هو مثال مجسم في هذا الشأن ومن درس حياته ومناقشاته الاجتماعية إلى الآن يدرك أنه هو ذاك الرجل الذي يقول في كتابه (الحياة المتينة): الأمة لا يمكنها النجاح إذا لم تعود أولادها بذل الجهد. لا لاجتناب الصاعب، بل لقصعها، ولا للبحث عن الراحة فقط، بل عن معرفة إحراز الظفر من أيدي المشاكل والمخاطر. يجب على الرجل أن يفرح إذا أتى بعمل الرجال ويسر إذا تجرأ على تحمل الصعوبات وكد وجد وحافظ على نفسه وعمل من يلود به، يجب على المرأة أن تكون مديرة لبيتها، رفيقة لزوجها، عاقلة لا تجزع من كثرة الأولاد الأقوياء الأشداء حولها. فرجاؤنا إلى أبناء العلم والتعليم على الأقل أن يبذلوا الجهد في إنشاء هذه الصفات العالية بين الناشئ الجديدة ومن يليها.

ويكفي أن يكون الأفراد أقوياء إذا لم تنور أفتدقهم بحب المنفعة العامة وتعلق آمالهم وغاياتهم برقي الشعب الذي يرجعون إليه؟ الرجل المتفرد لا قيمة له وما قيمة المرء إلا بقيمة الهيئة الاجتماعية التي ينتسب إليها. وهل ينكر أحد أن مبدأ الترفي والمدنية هو التعاون والإخلاص المتقابل بين الأفراد! ليست هي الجمعية التي تحمل الفرد أن

يتجول بكل حرية ويظهر استعدادده ولياقته أينما كان. إذاً على كل فرد أن يحب أمته ويسعى لإرضائها وإسعادها، تلك الأمة التي ضنته إلى حجرها ضمنت له الحياة ثم دربتة إلى أن تيسر له استتارة مداركه وأعماله. الرجل الذي تبرا من أمته ويهمل أمرها بعد أن أخذ غذائه منها هي ولا شك، غية عنه وعن أمثاله ومن يقدر المنفعة العامة ويخدمها ولو كان ذلك يؤدي في بعض الأحيان إلى ضرره الذاتي، فهو مجل في جميع الأزمنة في نظر أمته ونظر الإنسانية.

حكمت أئنة ظلماً على سقراط بشرب السم. فبدلاً من أن يركب العار ويفر من قانون أمته رضي بحكم الجمهور وتجرع كأس الموت صابراً غير جازع فحب الأمة وحب المنفعة بمنافعنا الحسيسة بحبها يجب أن تير أفندتنا ويعلي مقاصدنا وما أحسن ما كتب على نصب قبر أحد أولئك الأبطال الذين فادوا بأرواحهم في حرب ترمويل حياً بأمتهم: أيها العابر اذهب وخبر إسبارطة إننا لم نمت في هذا المكان إلا حياً بإعلاء شرفها وتأييد حريتها! وهل فعلت الأعراب أقل من ذلك وما السائق الذي دفع طارق بن زياد أن يحرق المراكب وينادي بعكره: الموت أو الظفر، وما الذي ساق محمداً المنصور الوزير الأندلسي الشهير أن يتدد على الطريق ويصد الفارين بنفسه إذا لم يكن حب الوظيفة وحب الأمة والوطن.

الفضيلة التي تأمر الإنسان أن يضع نفسه دون مبادئه العالية هي من أول الفضائل التي سطرها التاريخ على صفحاته. فلنجد أيها الأخوان، لاكتسابها فإن لنا باكتسابها الفوز العظيم.

### ترعة السويس وتجارة الشرق

عرف أن التجارة أول نشأتها لم تتجاوز البحر المتوسط بل حصرت في سواحل فينيقية وبلاد الكلدان والعربية وغيرها من بلاد المشرق أيام توفرت لديها المعارف والعلوم

وأبعت فيها ثمار الصنائع والفنون حتى صارت محط رحال التجارة بين المشارق والمغرب وزينة الأموال وموارد الخيرات والمكاسب ويهرع إليها الفاتحون من كل فج وصوب ليشاطروها الأرباح العظيمة ويسلبوها الصنائع العجيبة ويتهافت عليها الغزاة قافت الفراش على السراج ولكنهم ما كانوا يتفنون بذلك بل كان قهاتهم وبلاء عليهم في كل آن.

وبقيت شآبيب المرباح والخيرات تهل على الشرقيين فتدفق عليهم سيول الثراء من سحاب الكد والجد إلى أن نظر إليهم الزمان بعين ملؤها الحسد فألهم الإفرنج أن يكتشفوا طريقاً جديداً إلى الهند فأل الأمر إلى فاسكودي غاما ذلك الرجل العظيم الذي وجد طريقاً حول رأس الرجاء الصالح وحول بذلك المشروع جانباً كبيراً من تجارة الهند والصين لسقي به ربوع الغرب فارتشفت من معينه إنكلترا وإسبانيا والبرتغال وهولاندة حتى عمت الفائدة أغلب أقسام أوروبا وبقي للشرقيين من ذاك الوقت جزء يسير من التجارة يطرد بطريق حلب ودمشق ومصر نظراً لما كانوا يملكون أنفسهم من سواف والأخطار ويركبون الغرر والأهوال في طريقهم حول رأس الرجاء الصالح أو أفريقية واخذ يتزايد يوماً فيوماً إلى أن فتحت قرعة السويس سنة ١٨٦٩ على يد دي لسيس المهندس الفرنسي الشير فدار بذلك دولاب التجارة وعم نفعها العالم غير أنما مع كثرة منافعها إليه ما كانت لتخلو من مضار للسلطنة التي فتحت فيها وذابت مهج رجالها في حفر رمالها وعطلت من أجلها تجارتها بل كانت منفعتها لمن قاوم أشد المقاومة ألا وهي السلطنة الإنكليزية التي استأثرت بأكثر فوائدها.

أجل إن فتح تلك القرعة كان سبباً من أهم الأسباب لتوسيع تجارة العالم وامتدادها لكن الذين باشروا ذلك المشروع ومابدوا فيه عرق القرية قد قلب لهم الدهر ظهر

الخن وتبدل نعيمهم بالبؤس كما يشهد لهم بذلك شرقي سورية وأسفل العراق ومدينة حلب التي كانت مركز المواصلات التجارية بين أوروبا والهند فقد فقدت واردات تجارتها وعكس ذلك البصرة إذ صار لها بطريق السويس أوسع الأبواب لتصدير حاصلاتها كما تدل الآثار على ذلك.

كان طريق فاسكودي غاما إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح طريقاً خطراً يتجرع فيه المسافرون كأس الضيم وتفتحهم فيه السفن فحتم الهلكات حتى كانت تراخي مدة السفن الداهية إلى الهند فكانت تقضي في سفرها أكثر السنة ولم يكن وصولها معروفاً حتى المعرفة ولذلك أجبرت التجار أن تخزن جانياً كبيراً من البضائع في مخازنها حذراً من أن لا يكون في مخازنها ما يفي بالمطلوب إذا ما أُعِقت السفينة عن الوصول إليهم في الوقت المعين. أما الآن وقد صارت مدة السفر ثلاثين يوماً لا غير فاستغنى التجار عن المخازن الكبيرة وابتدأت تطلب بضائعها من الشرق وهي على يقين من وصولها في الوقت المعين وزد على ذلك فإن نقل الحنطة من الهند واللحم من أستراليا وزيلندا الجديدة لم يكن ممكناً قبل فتح الترعَة أما الآن فقد صار من أوسع أبواب التجارة.

وقد أدرك كثيرون من رجال عظماء العالم كرعسيس ونحو ودارا متاسب وبطليموس ونابليون وغيرهم مكانة تلك الترعَة التجارية فحفر رعسيس الثاني سنة ١٣٠٠ ق. م ترعة وصل بها فرع النيل البلوسي بالبحر الأحمر وما كانت تصلح إلا لتسريب المياه وربما كان ذلك مقصده الأكبر. وعزم نحو سنة ٦٠٠ ق. م على تسميتها لولا ما أنبأه العرافون أن يحفرها يتفع بما أعداء بلاده وما قرره أيضاً مهندسوه من أن مياه البحر الأحمر أعلى من سطح مصر فخاف عندئذ على بلاده وتوقف عن حفرها بعد ما أمهلك فيها نحو ٢٠٠٠٠ نفس من المصريين. ثم اشغل بها

دارا هشتاسب وبطليموس الثاني كما أنبأنا التاريخ فحفرا تلك التربة وبقيت إلى أن ردمتها الرمال قبل أيام طريانوس فأصلحها في القرن الثاني وعادت الرمال فردمتها مرة أخرى إلى فتوح العرب من سنة ٦٣٨ إلى ٦٤٠ فأصلحها عندئذ عمرو بن العاص قائد جيوش عمر بن الخطاب وسماها تربة أمير المؤمنين. ثم طمها بعده الخليفة المنصور أبو جعفر ثاني الخلفاء العباسيين ليقطع الطعام عن محمد بن عبد الله حينما خرج عليه في المدينة فقيت مطبورة من ذلك الحين إلى أن احتفرها الحاكم بأمر الله من الخلفاء الفاطميين في مصر وجعلها صالحة للملاحة حتى ردمتها الرمال مرة أخرى وبقيت الآثار ندلنا على ذلك.

ثم جاء نابليون إلى مصر ورأى آثار تلك التربة فجال في خاطره أن يحفرها فيقدر عندئذ أن ينقل جنوده إلى الهند فيجبر الإنكليز على الخروج من تلك الديار وهكذا عرض مشروعه هذا على المهندس المسير لوبيز ووقع فعيما وقعت به المصريون من قبل وقال أن سطح البحر الأحمر أعلى من سطح البحر المتوسط بعشرة أمتار فإذا فتحت التربة خشي من طغيان الماء. فقيت المسألة على بساط البحث إلى أن قضت الأحوال بخروج نابليون من مصر فسقط طبعاً مشروعه وخرج وهو يردد هذه الكلمات: إن هذا العمل العظيم لم يقدر لي عمله ولعل الدولة العثمانية تسترجع عظمتها يوماً ما بإتمامه.

وظل مهندسو ذلك العصر يعتقدون بارتفاع سطح البحر الأحمر عن البحر المتوسط إلى أن قام المهندس الفرنسي الشهير بوردالو سنة ١٨٦٤ وقرر ألا فرق بين ارتفاع البحرين فأنفذت فرنسا وإنكلترا والنمسا لجنة مؤلفة من المسير تلابوت والمستر ستيفنس والسييور بخري فتحقق الأمر عندئذ غير أن المهندس الإنكليزي لم

يتصوب لسياسة فتح تلك التركة وخوفه افيال الرمال عليها وخسارة الهند بذلك المشروع فعاد إلى وطنه وأضعف عزيمته مواطنيه فأثر فيهم كلامه وعدلوا عن إنشائها. وبقيت تلك المسألة موضوع البحث إلى أن قضت الأمور بأن يتم هذا المشروع الخطير على يد دي لسي المهنمى الفرنساوي بد أن استقرى طويلاً ووقف على فحوى ما ارتآه المهندسون في ذلك المشروع وعرف أن تجارة البلاد تتضاعف بما كل عشر سنوات. وهكذا آلى على نفسه بأن يفتح تلك التركة فألف شركة غية تحت عنوان (شركة ترعة السويس العامة) لتقوم لهذا العمل فذهب إلى الأستانة للعي في هذا المشروع فلم يلق هناك إلا ما يئيت الآمال ويشط العزائم وهذا آب إلى بلادده حجاجاً وبقي مدة في وطنه إلى أن بلغه تولية سعيد باشا على مصر سنة ١٨٥٤ فأسرع إليه إذ كانت بينهما صداقة مينة العرى وأقنعه بوجوب فتح تلك التركة التي بما يتوسع نطاق التجارة وتجر مصر ذبول الثراء فأثر فيه كلامه واقنع بما قاله دي لسي وعقد امتيازاً مع تلك الشركة يليه اثنا عشر بنداً أهمها أن مدة الامتياز ٩٩ سنة تبدئ من يوم فتح التركة وعند انتهاء المدة تستلم الحكومة جميع أعمال الشركة فتقوم مقامها في كل عمل وأضيف لهذا البند بأن يجوز للشركة إطالة المدة أو تجديد الامتياز بشرط أن تزيد ما تدفعه للحكومة من صافي الأرباح وأنها (أي الحكومة) تأخذ ١٥ في المئة من صافي الأرباح عدا ربحها من الأسهم التي تكون لها والخمسة والثمانين الباقية من المائة يعطى منها ٧٥ للمساهمين و ١٠ في المئة للمؤسسين ثم أن الشركة تعين بالاتفاق مع الحكومة المصرية ما يؤخذ على السفن من رسم المرور من التركة ويجري هذا الرسم على سفن جميع الدول بلا تمييز.

وفي ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فتحت التركة لمرور المراكب فاجتازها خمسون سفينة باحتفال عظيم أعد فيه إسماعيل باشا معدات عظيمة ودعا إليه ملوك أوروبا

وأمرائها فصرف لذلك الاحتفال أموالاً طائلة كانت سبباً من أهم الأسباب لتأخر صندوق الحكومة المصرية في ذلك الحين. وهكذا ابتدأت الشركة ورأس مالها ٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك مؤلفة من ٤٠٠.٠٠٠ سهم سعر السهم ٥٠٠ فرنك بعد ما تعددت عليها المعاكسات وتوقفت عن العمل مدة سنتين وحكموا بتلك المسألة إمبراطور فرنسا في ذلك العهد فرجع الأمر إلى من يقوم به وعادت الشركة للعمل بحمة ونشاط ونجحت نجاحاً عظيماً لم تتحجه قط شركة مساهمة مثلها.

وبعد فإن ما أنفقه إسماعيل باشا على الاحتفال عند فتح الترعة ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك وهو السبب الأكبر الذي بعثه على بيه حصة مصر من أسهم السويس وهكذا سنة ١٨٧٥ قد باع إسماعيل باشا تلك الأسهم وعددها ٧٦٦٠٢ من الأسهم ثمن السهم ٥٠٠ فرنك فأسرع الكولونل ستانتن فنصل إنكلترا في مصر واشترها باسم الحكومة الإنكليزية بقيمة أربعة ملايين جنيه التي قدر ثمنها سنة ١٩٠٦ بإحدى وثلاثين مليوناً من الجنيهات.

وهنا يجاب أن يضاف اقتراح الشركة للحكومة ألا وهو أن تعطي الشركة للحكومة المصرية أربعة ملايين من الجنيهات مقابلة إطالة امتيازها وأن تقطه أقساطاً أقساطاً يكون آخرها سنة ١٩١٢ وأن تعطى أيضاً أربعة في المئة من صافي ربحها السنوي في العشر سنوات الأولى من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٣٠ وستة في المئة في العشر سنوات الثانية وثمانية في المئة في العشر سنوات الثالثة وعشرة في المئة في العشر سنوات الرابعة و١٢ في المئة في المدة الباقية للامتياز أي سنة ١٩٦١ إلى سنة ١٩٦٨ ثم تعطى نصف صافي ربحها السنوي مدة الأربعين سنة التي يطال فيها الامتياز ولكن إذا قل الربح سنة من السنين عن مئة مليون فرنك فالشركة تأخذ أيضاً أن ربحها ٥٠

مليوناً والباقي للحكومة وإذا صادف في سنة من السنين أيضاً أن ربحها ٥٠ مليوناً فالشركة تأخذ الربح كله ولا تتداخل الحكومة فيه.

ونظراً لما صار للحكومة من قسم الأرباح قد سمح لها أن يكون في الشركة عضوان نائبان عن الحكومة فيها وهكذا انتخبت الحكومة نائبين عنها يمثلانها في الشركة.

وهذا بيان عدد البواخر التي محرت السرعة في كل سنة منذ فتحها إلى سنة ١٩٠٨ وبيان الرسوم التي حصلتها الشركة في كل سنة.

سنة عدد البواخر الرسوم المحصلة بالفرنكات

١٨٦٩١٠ ٥٤٤٦٠

١٨٧٠ ٤٨٦ ١٥٩ ٠ ٣٢٧

١٨٧١ ٧٦٢ ٩٩٣ ٠ ٧٣٢

١٨٧٢ ١٠٧٥ ٤٠٧ ٠ ٥٩١

١٨٧٣ ١١٧٣ ٨٩٧ ٠ ٣١٩

١٨٧٤ ١٢٦٤ ٨٥٩ ٠ ٣٨٣

١٨٧٥ ١٤٩٤ ٨٨٦ ٠ ٣٠٢

١٨٧٦ ١٤٥٧ ٩٧٤ ٠ ٩٩٨

١٨٧٧ ١٦٦٣ ٧٧٤ ٠ ٣٤٤

١٨٧٨ ١٥٩٣ ٩٨ ٠ ٢٢٩

١٨٧٩ ١٤٧٧ ٦٨٦ ٠ ٠٦٠

١٨٨٠ ٢٠٢٦ ٨٤٠ ٠ ٤٨٧

١٨٨١ ٢٧٢٧ ١٧٤ ٠ ٣٥٢

١٨٨٢ ٣١٩٨ ٥٤٥ ٠ ٨٨٢

812 . 845 . 60 188222 . 7  
 110 . 378 . 62 18843284  
 439 . 2 . 7 . 62 18803624  
 39 . 027 . 06 188631 . .  
 37 . 862 . 07 18873137  
 273 . 832 . 64 1888344 .  
 079 . 167 . 66 18893420  
 . . . 984 . 66 189 . 3389  
 1 . 1 . 422 . 83 189132 . 7  
 436 . 402 . 74 18923009  
 361 . 667 . 7 . 18933341  
 827 . 776 . 73 18943302  
 717 . 1 . 3 . 78 18903434  
 994 . 069 . 79 189632 . 9  
 040 . 83 . 72 18972987  
 769 . 294 . 80 189830 . 3  
 772 . 318 . 91 189937 . 7  
 6 . 8 . 623 . 9 . 19 . . 3441  
 397 . 386 . 1 . . 19 . 13699  
 . 2 . 72 . . 1 . 3 19 . 237 . 8  
 268 . 62 . . 1 . 3 19 . 33761

٤٧٩ . ٨١٨ . ١١٥ ١٩٠٤٤٢٣٧

٧٩٦ . ٨٦٦ . ١١٣ ١٩٠٥٤١١٦

٨٩٦ . ١٦١ . ١٠٨ ١٩٠٦٣٩٧٥

٠٩٦ . ٠٠٠ . ١١٦ ١٩٠٧٤٢٦٧

٤١٠ . ٤١٣ . ١٠٨ ١٩٠٨٣٧٩٥

بيروت

حبيب جرجي كحالة

## أوضاع الدولة الفاطمية

مقتبسة من الدروس التي يلقيها الشيخ محمد الخضري مدرس

تاريخ الأمم الإسلامية في الجامعة المصري

## الصناعة والأسطول

الصناعة هي المكان الذي أعد لإنشاء المركب البحرية وهي بنصر على قسمين نيلية وحرية فالحرية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشنح بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتتم من نغر الإسكندرية ونغر دمياط وتيس والفرما إلى جهاد الروم والفرنج وهي التي كان يقال لها الأسطول وأما النيلية فإنها تنشأ لتمر في النيل صاعدة إلى أعلى الصعيد ومنحدرة إلى أسفل الأرض لحمل الغلال وغيرها.

ولم يكن غزو في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الشيخين أبي بكر وعمر وكان عمر يكره الغزو فيه ويراد مخاطرة وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف في البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه وأنا أشتهي خلافها فكتب إليه يا أمير المؤمنين إني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء وإن ركذ حزن القلوب وإن أزل أزع العقول يزداد فيه اليقين فلة والشك كثرة هم

فيه كدود على عود إن مال غرق ون نجا برق. فقال عمر: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً.

وأول غزو فيه كان في عهد عثمان وأول غاز معاوية بن أبي سفيان أذن له به عثمان على شرط أن ينتخب الناس ولا يفرغ بينهم فمن اختاروا الغزو طانعا جملة وأعانته وغزا عبد الله بن سعد أمير مصر سنة ٣٤ في وقعة ذات الصواري وكانت له. وكان ذلك سبباً لاهتمام المسلمين بإنشاء المراكب الحربية فبعث عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة إلى عامله على أفريقية حسان بن العمان بأمره باتخاذ صناعته بتونس ومنها كانت غزوة صقلية في أيام زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب على يد شيخ القيا أسد بن الفرات.

قال ابن خلدون وذكر تعليل امتناع المسلمين ركوب البحر للغزو في أول الأمر والسبب في ذلك أن العرب لبدأوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجية لممارستهم أحواله ومرباعهم في القلب على أعواده مرونا عليه وأحكوا الدربة بثقافتهم.

فلما استقر الملك للعرب وشيخ سلطانهم وصارت أمم العجم حولاً لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته واستحدثوا بصراً بما فتقت أنفسهم إلى الجهاد فيه وأنشوا السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واحتصروا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب إلى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس.

وأول ما أنشئ الأسطول في مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي عندما نزل الروم على دمياط سنة ٢٣٨ فملكوها وقتلوا بها جمعاً كثيراً من المسلمين وسبوا

النساء والأطفال ومضوا إلى تيس فأقلعوا بأشتمها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الأمراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا يتزل في رجال الأسطول غثيم ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس إذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه. لا جرم أن كان لخدم الأسطول حرمة ومكانة وكان ولكل أحد من الناس رغبة في أنه من جملتهم فيعى بالوسائل حتى يستقر فيه.

وكانت الغزوات بين المسلمين والروم سجالاتاً يتال المسلمون من العدو ويتال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضاً لكثرة هجوم أساطيل المسلمين على بلاد العدو فإنها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن أفريقية فلذلك احتاج الخلفاء العباسيون إلى الفداء ولم يقع فداء في عهد الدولة الأموية وإنما كان ينادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر والإسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الحزرية إلى أن كانت خلافة الرشيد. فوجد أول فداء بين المسلمين والروم سنة ١٨٩ وآخر فداء كبير كان سنة ٣٣٥ في خلافة المطيع فهي عهد الدولة الإخشيدية بمصر والذي شرع فيه هو الإخشيد محمد بن طغج.

وقويت العناية بأمر الأسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالأسطول وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر والإسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشنديات والمسطحات وتسيرها إلى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعمقلان وكانت جريدة قواد الأسطول في آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان يقال

لهم القواد وتصل جامكية كل واحد إلى ٢٠ ديناراً ثم إلى ١٥ ثم إلى عشرة ثم إلى ثمانية ثم إلى دينارين وهي أقلها.

ولهم إقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيها من التطرون وكان يعين من القواد العشرة واحد فيصير رئيس الأسطول ويكون معه المقدم والقادس فإذا سار إلى الغزو كان هو الذي يقلع لهم وبه يقتدي الجميع فيرسون بإرساله ويقلعون بإقلاعه ولا بد أن يقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان أمراء الدولة وأقوامهم نفساً ويتولى النفقة في غزاة الأسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فإذا أراد النفقة فيما تعين من المراكب السائرة (كانت في أيام المعز تزيد عن ٦٠٠ قطعة وآخر ما صارت إليه في آخر الدولة نحو ٨٠ شونة وعشر مسطحات وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة) فيتقدم إلى النقباء بإحضار الرجال فيجتمعون وكانت لهم المشاهرات والجرايات في مدة أيام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفاً يقال لهم النقباء فإذا اجتمعوا أعلم النقباء المقدم فأعلم بذلك الوزير فطالع الخليفة فيقرر يوماً للنفقة فيحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الإنشاء على العادة ويجلس الخليفة على هيئته في مجلسه ويجلس الوزير في مكانه ويجلس صاحباً ديوان الجيش وهما المستوفي والكاتب فيجلس المستوفي من داخل عتبة المجلس ولجانبه من وراء عتبة الباب كاتب الجيش في قاعة الدار وشرط هذا المستوفي أن يكون عدلاً من أعيان الكتاب وأما الكاتب فكان في غالب الأمور يهودياً.

فإذا تمياً المال أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون في أخريات من هو واقف للخدمة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة فيستدعي المستوفي من تلك الأوراق المنفق عليهم واحداً واحداً فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه إلى الجانب الآخر فإذا تكملت عشرة وزن الوازنون لهم

الفقة لكل واحد خمسة دنانير فيسلمها له النقيب وتكتب باسمه ويده وهكذا إلى الآخر وإذا تم ذلك ركب الوزير بين يدي الخليفة وانفض الجمع.

وإذا تكاملت النفقة وجهزت المراكب وقيأت للسفر ركب الخليفة والوزير إلى ساحل النيل بالمقس عند منطرة المقس فيجلس فيها الخليفة يرسم وداع الأسطول ولقائه فإذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر للحركات بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولبودها وما فيها من المجنقات فيرمي بها وتحدر المراكب وتقلع وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو ثم يحضر المقدم والرئيس بين يدي الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصر والسلامة ويعطي للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين وينحدر الأسطول إلى دمياط ومن هناك يخرج إلى البحر فيكون له ببلاد العدو صيت عظيم ومهابة قوية.

والعادة أنه إذا غنم الأسطول ما عسى أن يغنم لا يتعرض السلطان إلى شيء منه إلا ما كان من الأسرى والسلاح فإنه للسلطان وما عداهما من المال والنياب ونحوهما فإنه لغزاة الأسطول ولا يشاركونهم فيه أحد. وإذا قدم الأسطول خرج الخليفة أيضاً لمنطرة المقس وجلس فيها للقاءه.

ولم يزل الأسطول على ذلك إلى أن كانت وزارة شاور ونزل ملك الإفرنج على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الأسطول فحترقت ونهبها العبيد فيما نهبوا. ولها ذكر يعود في ذكر الدولة الأيوبية وقد كان بمصر صناعات (ترسانات)

(١) وهي أقدم الصناعات صناعة الجزيرة بنت سنة ٥٤ هـ ثم اعتنى أحمد بن طولون بإنشاء المراكب الهربية في هذه الصناعة وأطافها بالجزيرة ولم ترل هذه الصناعة إلى أيام الإخشيد فحول موضعها إلى بستان المختار.

(٢) صناعة مصر بناها الإخشيد وكان موضعها يعرف بدار بنت الفتح بن خاقان زوج أحمد بن طولون والسبب في نقل الصناعة أنه رأى أن صناعة بحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء فحول الصناعة إلى ساحل مصر سنة ٣٢٥ وكان إذ ذاك عندها عندها سلم يزل منه إلى الماء وكانت مراكب الأسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها إلى أيام الأمر فلما ولي المأمون بن البطاحي أنكر ذلك وأمر أن يكون إنشاء الشواني والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر وأنشأ بها منظره لجلوس الخليفة يوم تقدمه الأسطول ورميه فأقر إنشاء الحريات والشلديات بصناعة الجزيرة وكان بهذه الصناعة دهليز ماء بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانية بسطاً وتأزيراً وفيها محل ديوان الجهاد وكان يعرف في الدولة الفاطمية أن لا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكباً إلا الخليفة أو الوزير إذ ركبا يوم فتح الخليج عند وفاء النيل ولم تزل هذه الصناعة عامرة إلى ما قبل سنة ٧٠٠ ثم صارت بستاناً.

(٣) صناعة المنس بناها علي قور ابنه أبي طي في تاريخه المعز لدين الله وأنشأ بها مئذنة مراكب لم ير مثلها في البحر على مينا.

وقال المسبحي أن العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمنس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبراً وحسناً وفي سنة ٣٨٦ وقعت نار في الأسطول وقت صلاة الجمعة فاحترقت خمس عشاريات وأتت على جميع ما في الأسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شيء فيها.

وكان العزيز قد أمر قبل موته بتحديد عمارة الأسطول فأنشئت مراكب بدل المحترقة بعناية السرعة وقد طرح في البحر بين أيدي الحاكم.

وكان في البهناوية وسفط يشن والأشمنين والأسوطية والأهنية والقوصية أشجار لا تحصى من سبط لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الأسطول فلا يقع منها إلا ما تدعو الحاجة إليك وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار.

### الخراج

لم يكن مقدار ما يجيء من الأراضي المصرية لعهد هدد الدولة متساوي المبلغ في جميع أدوارها بل كان يزيد وينقص حسب الاهتمام بالإصلاح الذي هو أساس كثرة الجباية.

فقد كان الخراج في السنة التي دخل فيها جوهر القائد ٣ . ٤٠٠ . ٠٠٠ دينار في عهد الوزير الناصر للدين الحسن بن علي اليازوري وزير المستنصر أراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس بينهما فتقدم إلى أصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه وما عليه من النفقات فعمل ذلك وصلته إلى متولي ديوان المجلس وهو رمام الدواوين فتظم عليه عملاً جامعاً وأحضره إياه فرأى ارتفاع مصر ٠٠٠٠ . ٠٠٠٠ . ١ دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهراب ومفقودين ٠٠٠٠ . ٢٠٠ دينار ويبقى منها ٠٠٠٠ . ٨٠٠ دينار يصرف منها:

٠٠٠٠ . ٣٠٠ دينار للرجال عدا واجباكم وكساويهم.

٠٠٠٠ . ١٠٠ دينار ثمن غلة للقصور.

٠٠٠٠ . ٢٠٠ دينار نفقات القصور.

٠٠٠٠ . ١٠٠ دينار عمائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم.

٠٠٠٠ . ٧٠٠ الجملة.

٠٠٠٠ . ١٠٠ بأن يحمل كل سنة إلى بيت المال المصون.

فحظي بذلك عند سلطانه وخف على قلبه وهذا هو ديوان الخاص وبعد موت  
اليازوري انتهى ارتفاع الأرض العقلى إلى ما لا نسبة له من ارتفاعها الأول وكانت  
قبل الفتن ٦٠٠.٠٠٠ دينار فانضع الارتفاع وعظمت الواجبات.

ولما صلحت البلاد في عهد أمير الجيش وولده الأفضل أمر الأفضل بعمل تقدير  
ارتفاع مصر فجاء خمسة ملايين دينار وكان متحصل الأمراء مليون أردب.

وفي وزارة المأمون بن فاتك البطاخي سنة ٥٠١ وهو وزير الأمر رأى من اختلال  
أحوال الرجال العسكرية والموظفين تضرهم من كون إقطاعهم قد خسر ارتفاعها  
وان في كل ناحية الفواضل للديوان جملة تجبى بالعنف وتتردد الرسل من الديوان  
الشريف بسببها فخطب الأفضل بن أمير الجيوش في أن يحل الإقطاعات ويروكها  
وعرفه في أن المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان لأن الديوان يحصل له  
من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد متورة فأجاب إلى ذلك وحل جميع الإقطاعات  
وراكها وأخذ كل من الأقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون أن لهم بسائناً وأملاكاً  
ومعاصر ونواحيهم فقال له من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الإقطاع وهو  
محكم إن شاء الله باعه وإن شاء الله آجره فلما حلت الإقطاعات أمر الضعفاء من  
الأجناد أن يترايدوا فيها.

فوقعت الريادة في إقطاعات الأقوياء إلى أن انتهت إلى مبلغ معلوم وكتبت السجلات  
بأنها باقية بأيديهم إلى مدة ٣٠ سنة لا يقبل عليهم فيها زيادة وأحضر الأقوياء وقال  
لهم: ما تكرهون من الإقطاعات التي كانت بيد الأجناد قالوا: كثرة عبرتها وقلة  
متحصلها وخراجهما وقلة الساكن بما فقال لهم: ابدلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوي  
رغبكم فيه ولا تنظروا في العبرة الأولى فعند ذلك طابت نفوسهم وترايدوا فيها إلى  
أن بلغت الحد الذي رغب كل منهم فيه فاقطعوا وكتب لهم السجلات على الحكم

المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد متورة بما كان مفرقاً في الإقطاعات بما مبلغه ٥٠٠٠ دينار.

وفي سنة ٥١٥ في عهد المأمون صدر سجل يتضمن المساحة بالبواقي إلى سنة ٥١٠ ويبلغ ما انتهت إليه هذه المساحة إلى حين ختم السجل.

٢٠٧٢٠ . ٧٦٧ دينار.

٥٠٠ . ٦٧ ورق.

٢٣٩ . ٨١٠ . ٣ أردب غلة.

وغير ذلك كثير من الأصناف التي كانت تقبل بما الأرض وقد ذكرت متصلة في هذا السجل.

ولما انتهى إلى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانقضاءها من كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها إلى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب أنكر ذلك ومنع من ارتكابه وخرج أمره بإعفاء الكافة أجمعين والضناء والعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ما داموا مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوان المجلس والخاص الأميرين السعديين الخ.

### الخراج

أصدر المأمون بن فاتك البطانحي وزير الخليفة الأمر بالله منشوراً بتساحة الأرض بعد أن تجاوز للزراخ عن الديون التي عليها للحكومة. وبعد أنه مسح الأرض وصل إليه مكاتبه من الرائي والمشارف ومن كان في صحته لكشف الأراضي والسواقي ومساحتها متضمنة ما أظهر الكشف وأوضحه على من يده السواقي وهم عدة كثيرة ومن حملتها ساقية مساحتها ٣٦٠ فداناً تشمل على النخل والكروم وقصب

السكر وخراجها في السنة عشرة دنانير وما يجري الأعمال هذا الجرى وأنهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من أرباب السواقي ما يدن على ما بين أيديهم تذكروا أنها انتقلت إليهم ولم يظهروا ما يدن عليها وقد صيروا ملاكها إلى الباب تحت الحوطة ليخرج الأمر بما يعتمد عليه في أرهم وعند وصولهم وقع الترسيم عليهم إلى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فإن هذه الأملاك برمتها لا تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للسامون يوم جلوسهم للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم إلى القاضي جلال الملك أبي الحجاج يوسف بن أيوب المغربي هو يومئذ قاضي القضاة فحاكمتهم فجرى معهم مع مفاوضة أوجبت الحق عليهم وألزمهم بالقيام ما يستغرق أموالهم وأملاكهم فحصل من تضردهم ما أوجبت العاطفة عليهم وأخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب صفحاً عما تقدم. وكتب بذلك المنشور يصح أن يسمى مبدأ إصلاح عظيم. وقد أباح فيه لكل من يرغب في عمارة أرض حلفاء دائرة ودائرة بئر مهجورة معطلة أن يسلك ذلك إليه. ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج إلا في السنة الرابعة من تسليه إياه.

وكان ذلك المنشور سبباً لحصول الاجتهاد في تحصيل ما للديوان وعمارة البلاد وترقية الفلاحين.

وفي المنهاج في أحكام الخراج أن ارتفاع البلاد المصرية والفلسطينية والطرابلية سنة ٤٨٣ الهلالية الموافقة لسنة ٤٨٠ الخراجية كان ١٠٠٠ . ١٠٠٠ . ٣ دينار عينا وأن الذي كان يؤدى في سنة ٤٦٦ الهلالية الموافقة ٤٦٦ الخراجية قبل عهد بدر أمير الجيوش كان مبلغه ١٠٠٠ . ٢٠٨٠٠ دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ٣٠٠ . ١٠٠٠ دينار أعرب عن حسن العمارة وشمول العدل.

وحبي القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم التسي عينا خالصا إلى بيت المال بعد المئذ والكلف ٢٠٠٠ . ١ دينار ثم بعده لم يجها أحد هذه الجاية حتى انقرضت الدولة الفاطمية.

وفي أواخر الدولة أعيدت الأموال الهالكية التي كان ابن طولون أسقطها وطارت تعرف بالمكوس وكانت نحو مئة ألف دينار وهي التي أبطلها صلاح الدين. ومما يبين اهتمام الأفضل بن الحمالي بعنارة البلاد أن أبا البركات بن أبي الليث رئيس ديوان المجلس رغب أن يتصحح على الأفضل بكثرة ما توفر عنده من الأموال وسأله أن يشاهده قبل جملة وذكرانه ٧٠٠ . ٠٠٠ ديناراً خارجاً عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في صناديق بجانب وجعلت الدراهم في صناديق بجانب آخر وقام ابن أبي الليث بين الصفيين فلما شاهد الأفضل ذلك قال لابن أبي الليث يا شيخ تفرحني بالمال وتربة أمير الجيوش إن بلغني أن بنراً معطلة أو أرضاً بائرة أو بلداً حراب لأضرب عنقك فقال: وحتى نمتك لقد حاشى الله أيامك أن يون بها بلد حراب أو بتر معطلة أو أرض بور فأبى أن يكشف عما ذكر.

### دواوين المال

كان في الدولة الفاطمية جملة دواوين لبيان ما يرد على الدولة من المال وما ينصرف وكان بها نظام يسيرها على السداد فأولها ديوان المجلس (الخاص). وصاحبه هو المتحدث في الإقطاعات ويخضع عليه ينشأ له السجل والمرتبة والسند والدواة والحاجب ومعه جملة كتاب وفيه يحصر ما يخرج من الأنعام في العطايا والرسوم المعتادة في غرة السنة والضحايا والمرتب من الكسوات للأولاد والأقارب والجهات وأرباب المراتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف

والهدايا وما يرسل إليهم من الملاحظات ومقادير الصلوات للمتوسلين بالمكاتبات ثم يضبط ما ينفق في الدلة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت وهذا بيان:

دينار

٣٠٠٠ الصرة المعتم بها في أول العام

٢٠٠٠ ثمن الضحايا

٧٠٠٠ ما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس

١٠٠٠٠ ما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها

٢٠٠٠ ما ينفق في مهم فتح الخليج غير المطاعم

٣٠٠٠ ما ينفق في سماط شهر رمضان

٤٠٠٠ ما ينفق في سماط الفطر والنحر

٣١٠٠٠ المجموع

وهذا خارج عما يطلق للناس أصافاً من خرائته من المآكل والمشرب والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمساحات وما يطلق من الأهراء من الغلات.

وفي هذه الخدمة كاتب متقل بين يدي صاحب ديوانه صلي ومعه كاتبان آخران لتزيل ذلك في الدفتر.

### ديوان الرواتب

يشتمل هذا الديوان على أسماء كل مرتوق وجار وجارية وفيه كاتب أصيل لطراحة وفيه من الميضم والمعين نحو عشرة أنفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من اسجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض.

الأول: يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر ٥٠٠٠ دينار ومن يليه من ولد وأخ من ٣٠٠ دينار إلى ٢٠٠ دينار ولم يقرر لولد الوزير ٥٠٠ دينار سوى شجاع بن شاور ثم حواشيهم على مفتضي عدقم من ٥٠٠ إلى ٤٠٠ إلى ٢٠٠ خارجاً عن الإقطاعات.

الثاني: حواشي الخليفة وأولهم الأساتذة ائتكون على رتبهم وحواري خدمهم التي لا يباشرها سواهم فرمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الأشرف والأقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم ١٠٠ دينار ومن دوهم ينقص عشرة دنائير حتى يكون آخرهم من له في الشهر عشرة دنائير وتزيد عدهم على ألف نفس ولطبيي الخاص لكل واحد خمسون ديناراً ولمن دوهما من الأطباء برسم المقيمين في القصر لكل واحد عشرة دنائير.

الثالث: يتضمن أرباب الرقب بحضرة الخليفة فأوله كان الدست الشريف وجاريه ١٥٠ ديناراً ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما ٧٠ ديناراً وبقية الأزمة على العساكر السودان من ٥٠ إلى ٩٠ إلى ٣٠ ديناراً.

الرابع: يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يليه لقاضي القضاة ١٠٠ دينار ومثله داعي الدعاء ولكل من قرأ الحضرة عشرون ديناراً إلى ١٥ إلى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين ديناراً إلى عشرة وللشعراء من عشرين ديناراً إلى عشرة.

الخامس: يشتمل على أرباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه ٧٠ ديناراً وديوان التحقيق وجاريه ٥٠ ديناراً وديوان المجلس أربعون وصاحب دفتر الحبس ٧٠ ديناراً وكتابه خمسة دنائير وديوان الجيش وجاريه ٤٠ ديناراً والموقع بالقلم الجليل ٣٠ ولجميع أصحاب الدواوين الجاري فيها المعاملات لكل واحد عشرون ديناراً ولكل معين من عشرة دنائير إلى سبعة إلى خمسة.

السادس: يشتمل على المستخدمين بنصر والقاهرة لكل واحد منهم في الشهر خمسون ديناراً والحمأة بالأهراء والمناخات والجوالي والبساتين والأماك وغيرها لكل منهم عشرين ديناراً إلى ١٥ إلى ١٠ إلى خمسة دنانير.

السابع: الفراشون بالقصور يرسم خدمتها وتظيفها خارجاً وداخلاً ونصب الستائر اغتاج إليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فمنهم خاص يرسم خدمة الخليفة وعدتم ١٥ رجلاً منهم صاحب المائدة وحامي المطابخ من ٣٠ ديناراً إلى ما حولها وله رسوم متميزون ويقربون من الخليفة في الأيسطة التي يجلس عليها ويلبهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ويتولى أمره أستاذ من خواص الخليفة وعدتم نحو ٣٠٠ رجل وجاريهم من ١٠ إلى خمسة دنانير ومقدموهم أصحاب ركاب الخليفة وعدتم اثنا عشرة مقدماً منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب السنين ولكل هؤلاء التقديمين في كل شهر ٥٠ ديناراً ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقاً على قدر حواريتهم. جوقة لكل منهم خمسة عشر ديناراً وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقاً لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من يتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الأعمال التي يدخلونها وهم الذين يحملون الملحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها.

وأول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم الذكور والإناث ولسانتهم وقرر لهم أيضاً الكسوة العزيز بالله. هذه كانت العروض أو بعبارة أخرى فصول الميزانية.

#### الميزانية

إذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الإستمارة لتلك السنة تمام ذي الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض إليه فإذا تحورت نسخة التحرير بيضت بعد أن يستدعي من المجلس أوراق بالإدراة الذي يقبض بغير

خرج وفي الإدراج ما هو مستقر بالوجهين فيصاف هذا المبلغ بجهاته إلى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيثار شيء من كل ما تقرّر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقاً وغلة وغير ذلك فيكتب ذلك مكله بأسماء المرتزقين وأولهم الوزير ومن يلوذ به وعلى ذلك إلى أن ينتهي الجميع إلى أرباب الصر فإذا أكمل استدعي له من خزانة الفرش وطاء حرير يشده وشرابة لإمساكه إما حضراء أو حمراء. ويعمل له صدر من الكلام اللاتق بما عده فإذا فرغ من ذلك حمل إلى صاحب ديوان النظر إن كان. وإلا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة إن كان مستبداً أو الوزير لاستقبال المخرم من السنة الآتية في أوقات معلومة فيتأخر في العرض وربما يستوعب المخرم ليحيط العلم بما فيه فإذا كمل العرض أخرج إلى الديوان. وقد شطب على بعضه وكان ينقص قوم للاستكثار يراود قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما كانت تقضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان وعلامة الإطلاق خروجه من العرض.

وقيل أنه عمل مرة في أيام المستنصر فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه فقيل له معاذ الله يا مولانا ما تم إنعام إلا لك. ولا رزق من الله إلا على يديك فقال ما يتقضى به أمرنا. ولاحظنا ما صرفناه في دولتنا بأذننا. وتقدم إلى كاتب الإنشاء بامضائه للناس من غير عرض. ووقع عن الخليفة بظاهره. الفقر مر المذاق، والحاجة تدل الأعناق، وحراسة النعم بإدراج الأرزاق، فليجروا على رسومهم في الإطلاق. ما عندكم ينفذ وما عند الله باق.

ووقع على خلافة الحافظ على استيثار الرواتب ما نصه: أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثير لإعطاء ولا يكرره بالتأخير له والتسوية والإبطاء ولما انتهى إليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتناع عن إيجابهم وحمل خروجهم قد ضعفت

قلوبهم وقلقت نفوسهم وساءت ظنوتهم شملهم برحمته ورافته وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيداً للأتعام والمن. وقتنة بصدقة لا تتبع بالأذى والمن. فليعتد في ديوان الجيوش المنصورة إجراء ما تضمن هذه الأوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من روايتهم وإيجاباتها على سيافها لكافتهم. من غير تأويل ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب ويجروا في مسياتهم على عاداتهم لا ينحل من أمورهم ما كان مبرماً. ولا ينسخ من أمرهم ما كان محكماً. كرماً من أمير المؤمنين وفعلاً مروراً وعملاً بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى إنا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً وليسخ في جميع الدواوين في الحضرة إن شاء الله تعالى ام.

قال المقرئ نقلالاً عن كتر الدرر في سنة ٤٦هـ عرض على الحاكم بأمر الله الإستمارة باسم المتفقيين والقراء والمؤذنين بالقاهرة. ومصر (القساط) وكانت الحملة كل سنة ٧١. ٣٣٣ ديناراً وثلث أو ربع دينار فأمضى جميع ذلك.

### ديوان التحقيق

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لا يتولد إلا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق برأس الديوان وهو متولى النظر ويفضّر إليه في أكثر الأوقات.

### ديوان النظر

هو أجل دواوين الأموال وصاحبه يتولى النظر على العمال والعزل والولاية ومن يده عرض الأوراق في أوقات معلومة على الخليفة أو الوزير ولم يرى فيه نصراني إلا الأحرز ولم يتوصل إليه إلا بالضمنان.

ولصاحب هذا الديوان الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة وتخرج له الدواة بغير كرسي وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الأموال ومطالبة أرباب الدولة ولا يعترض فيما يقصد من أحد من أرباب الدولة. وكانت دواوين المال بدار الإمارة بجوار مسجد ابن طولون إلى أن بنى الوزير يعقوب بن يوسف دار الوزارة الكبرى فنقلت إليه الدواوين وبعد موته نقلت إلى القصر ولم تزل به حتى استبد الأفضل أمير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل إليها الدواوين فلما قتل عادت إلى القصر ولم تزل به حتى انتهت الدولة الفاطمية.

#### ديوان الإنشاء

لما كانت مصر دار إمارة كان بها ديوان البريد ويقال لموليه صاحب البريد واليه مرجع ما ورد من دار الخلافة على أيدي أصحاب البريد من الكتب وهو الذي يطالع بأخبار مصر وكان للأمرء كتاب يشتمون عنهم الكتب والرسائل إلى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص المرافعين إلى أن قدم المعز لدين الله فوق بنفسه وجعل أمر الأموال وما يتعلق بها إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فوليا أموال الدولة ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب فاستبد بجميع أحوال المملكة وجرى مجرى جعفر بن يحيى البرمكي مع الرشيد وكان يوقع ومع ذلك ففي أمراء الدولة من يلي البريد وجعل الأمر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت أيام المستنصر بالله وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر المغربي عن وزارته أفرد له ديوان الإنشاء فوليه مدة طويلة وأدرك أيام أمير الجيوش بدر الجمالي. وصار يلي ديوان الإنشاء بعده الأكابر إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية وهو بيد القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليساري الذي صار صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الصلاحية.

قال المقرئ وكان لا يتولى ديوان الإنشاء إلا أجل كتاب البلاغة ومخاطب الشيخ  
الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها  
على الخليفة من بعده وهو الذي يأمر بتزيلها والإجابة عنها الكاتب وللخليفة  
يستشير في أكثر أموره ولا يحجب عنه من قصد القول بين يديه وهذا أمر لا يصل  
إليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالي. وكان جاريه ١٢٠ دينار في الشهر وهو أول  
أرباب الإقطاعات وأرباب الكسرة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل إلى  
ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد إلا الخواص وله حاجب من الأمراء والشيخوخ  
وفراشون وله م رتبة هائلة والمخاد والمسند والدواة ولكنها بغير كرسي وهي من  
أخص الدوي وبحملها أستاذ من أستاذي الخليفة.

وكان للخليفة كاتب التوقيع بالقلم الدقيق وهو كاتب يذاكر الخليفة فيما يحتاج إليه  
من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الأنبياء والخلفاء فهو يجتمع به في أكثر الأيام.  
ومعه أستاذ من المحكين مؤهل لذلك ولهذا الكاتب رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب  
الدست.

ويكون صحبته للجلوس دواة محلاة فإذا فرغ من المجالسة ألقى في الدواة كاغداً فيه  
عشرة دنابر وفوطاس فيه ثلاثة مثاقيل من مثلث خاص ليختر به عند دخوله على  
الخليفة ثاني مرة. وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراش بقدر  
ألبه ما يوقع عليه. وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن  
وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوي وغيرها.

أما التوقيع باسم الجليل فهي أيضاً رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها طراحة  
والمسندان بغير فراش لترتيب ما يوقع عليه.

كانت الدولة إذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقاء والحجاب فينادي المنادي بين يديه يا أرباب الظلمات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت إلى الولاة والقضاة رسالة يكثفها من تظلم ممن ليس من أهل البلدين (مصر والقاهرة) أحصر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فإذا جمعها أحصرها إلى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الجليل فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه. فإن كان الوزير صاحب سيف جلس للنظام بنفسه وقاتله قاضي القضاة ومكن جانبه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صواحب ديوان المال وبين يديه صاحب المال وأسفسلار العساكر وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقهم ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الأسبوع وكان الخليفة إذا رفعت إليه القصة وقع عليها (يعتمد ذلك إن شاء الله) ويوقع في الجانب الأيمن منها (وقع بذلك) فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع مكان جليلاً فيعلم عليها الخليفة وثبت وكانت علامتهم أباءاً والحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسوية والتحيس (قد أنعمنا بذلك) و (قد أمضينا بذلك) وكان إذا أراد أن يعلم ذلك الشيء الذي أهي وقع (ليخرج الحال في ذلك) فإذا أحضر إليه إخراج الحال علم عليه فإذا كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه (وزيونا السيد الأجل وذكر نعمته المعروف به أمعا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك إن شاء الله تعالى) وثبت في الدواوين خط الخليفة (يمثل أمير مولانا صلوات الله عليه) وثبت في الدواوين.

وكان بالقصر الكبير موضع يقال له السقيفة يقف عنده المظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المظلمين فإذا ظلم أحد وقف تحت

السقيفة ونادى بصوت عالٍ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عليه علي وبي الله  
 فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو الوالي.  
 ومن غريب ما وقع من المظالم في أيام الحافظ لدين الله أنه خرج من انتدب بعد  
 انحطاط النيل من العدول والكتاب إلى الأعمال لتحرير ما شمله من الري وزرع من  
 الأراضي وكتابة المكلفات فخرج إلى بعض النواحي من يمسحها من شاد وناظر  
 وعدول وتأخر الكاتب ثم لحقهم وأراد التعدي ففر في الكاتب وسبه وقال أنا مسح  
 هذه البلدة ومني حق التعدي فقال له الضامن إن كان زرع فخذة وقلع لجام بغلة  
 الكاتب وألقاه في معدتي فلم يجد بداً في دفع الجرة إليه حتى أخذ لجام بغلته فلما تم  
 مساحة البلد وبيص مكلفة تلك المساحة ليحملها إلى دواوين الباب وكانت عاقبتهم  
 كتب الجملة بزيادة عشرين فداناً وترك بياضاً في بعض الأوراق وقابل العدول على  
 المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب بالبياض الذي تركه - أرض اللجام  
 باسم ضامن التعدي عشرين فداناً قطعة - كل فدان أربعة دنانير عن ذلك ثمانون  
 ديناراً وحمل المكلفة إلى ديوان الأصل وكانت العادة إذا مضى من السنة الخراجية  
 أربعة أشهر ندب من الجند فيه حماسة وشدة ومن الكتابة العدول كاتب (نصراني)  
 فيخرجون إلى سائر الأعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات  
 المذكورة فينفق في الأجناد وكل من العادة أن يخرج إلى كل ناحية ممن ذكر من لم  
 يكن خرج وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم.

فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مالية الناحية استدعوا أرباب  
 الزرع ومنهم ضامن التعدي فلما أحضر ألزم بأداء ٢ / ٣ ٢٦ دينار عن نظير ثلث  
 المال الثمانين ديناراً عن خراج أرض اللجام فأنكر الضامن أن تكون له زراعة  
 بالناحية وصدقه هل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب

بالمقارع واحتج بخط العدول على النمطكلفة وما زال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة وسار إلى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ بإحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وقص له ما اتفق منه في حق الكاتب النصراني وما كاده به فاحضر المتحدث في الدواوين وهو الموفق ابن الخلال وجميعه أرباب الدواوين وأحضر المكلفات التي عملت للناحية في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة فلم يوجد لأرض اللحام ذكر الية فحينئذ أثار الحافظ بإحضار ذلك الكاتب وأمر بأن يطاف به وأن يشهر في سائر الأعمال.

#### الحسبة والعيار

نقل المقرئ عن ابن طوير - وأما الحسبة فإن من تستند إليه لا يكون إلا من وجود المسلمين وأعيان المعدلين لأنها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحاكم وله الجلوس بجامعة القاهرة ومصر يوماً بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعاش ويأمر نوابه بالختم على قدور المراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزأهم وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات ويتبعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحماليين على البهائم ويلزمون السائقين بغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو ٢٤ دلواً وكل دلو أربعون رطلاً وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعورتهم وهي رزق وينذرون معلمي الكتاتيب بأن لا يضربوا الصيان ضرباً مبرحاً ولا في مقتل وكذلك معلمو العلوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون من يكون سيء المعاملة فينهونه بالردع والأدب وينظرون المكابيل والموازين وللمحتسب النظر في صاحب العيار ويخلع عليه ويقراً سجله بمصر والقاهرة على النير ولا مجال بينه

وبين مصلحة إذا رآها والولاية تشد معه إذا احتاج إلى ذلك وجاربه ٣٠ ديناراً في كل شهر.

وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما يحتاج إليه من الأصناف كالححاس والحديد والخشب وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويختصر المحتسب أو نائبه إلى هذه الدار ليعير المعنول فيها بحضوره فإن صح ذلك أمضاه وإلا أمر بإعادة هملته حتى صح وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والأكيال إلا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة إلى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير في كل قليل فإن وجد فيها الناقص استملك واخذ من صاحبه بهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار ثم سومح الناس وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنجه خلل بإصلاح ما فيها من فساد والقيام بأجرته.

### قاضي القضاة

لم يتسم قاضي مصر بقاضي القضاة إلا في عهد الدولة الفاطمية تشبهوا في ذلك ببغداد.

وكان الخليفة هو الذي يعين القاضي إلا إذا كان هناك وزير رب السيف فإنه هو الذي يقلد القضاة نيابة عنه.

وتكون رتبة القاضي أجل رتب أرباب العمامة وأرباب الأقلام ويكون في بعض الأوقات داعياً فيقال له حينئذ قاضي القضاة وداعي الدعاة ولا يخرج شيء من الأمور لدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بربادة جامع عمرو بن العاص على طراحة وممسند حرير ويجلس الشهود حواله يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه

خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم إليه.

وله أربعة من المرفعين بين يديه اثنان يقابلان اثنان وله كرسي الدواة وهي دواة محلاة بالفضة تحمل إليه من خزائن القصور.

ويقدم إليه من القصور بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلي ثقيل وراءه فترفضه ومكان الجلد حرير وتأتيه في المواسم الأطواق ويخلع عليه الخلع المذهبة.

ولا يتقدم على القاضي أحد في محضر هو حاضره من أرب سيف أو قم أو لا يحضر أملاكاً ولا جنازة إلا بإذن ولا سبيل إلى قيامه لأحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهد إلا بأمره ويجلس في القصر يومي الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة.

وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير وكان القاضي لا يصرف إلا بجنحة ولا يعدل أحد إلا بتزكية عشرين شاهداً عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ولا يحكي أحد على الشرع ومن فعل ذلك أدب.

وكان القضاة على مذاهب الشيعة الإسماعيلية في الفروع إلا في عهد الوزير أبي علي بن الأفضل فإنه عين أربعة قضاة يقضي كل منهم بمذهبه إمامي وإسماعيلي وشافعي ومالكي.

#### داعي الدعاء

داعي الدعاء يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتربا بزبه في اللباس وغيره ووصفة بأن يكون عالماً بمذاهب آل البيت ويقرأ عليه ويأخذ العهد على من يتقل من مذهبه إلى مذهبه وبين يديه نقباء من المعلمين ١٢ نقياً وله نواب كتاب الحكم في سائر

البلاد ومحضر إليها فقهاء الدولة وهم مكان يقال له دار العلم والجماعة منهم على التصدير بما أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يفتقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ومحضر مبيضا إلى داعي الدعاة فيأخذه ويدخل به إلى الخليفة في مدين الیومین فتلوه علیه إن أمكن ویأخذ علامته بظاهره ویجلس بالقصر لتلاوته علی المؤمنین فی مکانین للرجال علی كرسی الدعوة بالديوان الكبير وللنساء تجلس الداعي فإذا فرغ من تلاوته حضروا إليه لتقبيل يده فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة (خط الخليفة) وله أخذ النجوى من المؤمنین بالقاهرة ومصر وأعمالها لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيدد فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللنساء وفي الإسماعيلية من يحمل ٣٣ ٢ / ٣ دينار على حكم النجوى وكانت الدعوة تلقى إلى المدعويين مرتبة كما سيق فإذا تمت الدعوات حسب الترتيب أخذ على المرید العهد والميثاق وأن يستر جميع ما عرف إلا ما أطلق له أن يتكلم به وأن ينصح ويخلص للإمام.

ومن اشهر من قلد وظيفة داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الذي له مع أبي العلاء المعري مراسلات تدل علو كعبه في العلم والعرفان والجدل وسبها أنه سمع بيت المعري المشهور وهو قوله:

غدوت مريض العقل والرأي فألقي ... لخبر أنباء العقول الصانع

فكتب إليه من رسالة. فشددت إليه رحلة العليل في دينه وعقله إلى الصحيح الذي يبني أنباء الأمور الصحاح وأنا أو ملب لدعوته معترف بميزته وهو حقيق أن لا يواطني العشواء فيلك في اجاهل ولا يعتمد فيما يورده تليس الحق بالباطل وأول سؤالي عن أمر خفيف فإن استشقت نسيم الصبا سقت السؤال إلى المهم أسأله عن

العلة في تحرّنه على نفسه اللحم واللبن وكل ما يصدر إلى الجود من منافع حيوان الخ.

### حول كربلاء

#### ١ وصف جامع الحسين

إن الذي يجلب المسلمين إلى كربلاء هو وجود قبر الحسين بنت رسول الله وأخيه العباس بن علي رضي الله عنهم وقبور أصحابه واعوانه الذين استشهدوا معه في واقعة الطف أو يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ - ٦٨٠ م وبذلك أصبحت كربلاء مقدساً الشيعة ومزارهم فيأتي إليها كل سنة لزيارة الترتين - تربة الحسين وتربة العباس - من كل حدب وصوب زرافات زرافات وجماعات جماعات قادمين إليها من ديار قاصية وربوخ نانية كديار العجم وربوخ الهند وآسيا الوسطى حيث يكثر الشيعون ولهذا ترى كربلاء لا تخلو من غرباء يعدون بالألوف للغرض نفسه.

وما نحن نصف للقراء ما في جامع الحسين من الأبنية الضخمة والترينات الفاخرة التي هي من أفخر ما يوجد به الشيعة في تدينتهم ورحمهم لآل البيت صغين عن وصف جامع العباس لقرب المشاهدة بين الجامعين إن وضعاً وإن زخرفاً فنقول:

جامع الحسين من المساجد الرائقة البديعة الصنع، الفاتقة الحسن وهو من أعظم المساجد في العراق شأنًا، وأتقنها هندسة وصناعة، وأبدعها حسناً وبهجة، وهو على شكل مستطيل طوله قرابة ٧٠ متراً في عرض يقارب ٥٥ متراً وللمسجد ٦ أبواب فخمة جميلة الوضع وعلى كل باب طاق مرتفع معقود بالحجر القاشاني وكل باب ينتهي بك إلى حي من أحياء المدينة، وفناء المسجد كله فضاء واسع فصح الأرجاء مفروشة أرضه بالرخام البيض الناصع وكذلك جداره فإن وجه أسفله معشى بالرخام إلى طول مترين، وما أقول ذلك مني بالقاشاني الجميل القطع والنحت، ويحيط بفناء

الصحن جدار يحصه قد أقيم عليه طبقتان وفي الطبقة السفلى قرابة ٦٥ غرفة جميلة أمام كل غرفة إيوان قوسي الشكل معقود بالحجر القاشاني.

في وسط فناء الصحن الروضة المقدسة وهي من أعجب المباني وأتقنها وأبدعها شكلاً، وفي حقلها باغاسن، وأخذت بكل بديعة بطرف يدخل إليها من عدة أبواب ليس هنا محل ذكرها وأشهر أبوابها الباب القبلي وهو من الفضة النفيسة الصياغة وفي جوانبه سهوات محكمة البناء بديعة الشكل على هيئة الجاريب مرصعة بقطع من المراني تأخذ بمجامع القلوب، أمامها صفة مفروشة أرضها بالرخام وكذلك جدارها الأدنى فإنه مؤزر به إلى مترين مرصع كله بزجاج قرصياً هندسياً يقل نظيره وسقف هذه الصفة قائم على دعائم محكمة من الساج وهذا الباب ينتهي من الداخل إلى رواق يحيط بالحرم - الروضة - من شرفيها أو جنوبيها أو غربيها وعن يمينك تجد قبر حبيب بن طاهر وعليه مثبك من الشبه فتدخل باستقامة إلى باب آخر من الفضة الناصعة العجيبة الصياغة إلى مقام محكم الصنع ملون بألوان زاهية بديعة، وهو الروضة أو الحرم الذي فيه قبر الحسين وطوله ١٠ أمتار و ٤٠ سنتيمتراً وعرضه ٩ أمتار و ١٥ سنتيمتراً وفي داخله من أنواع التراويق ورائق الصنع ما يحير العقول وأكثر ذلك معشى بالذهب الوهاج فهي تتألاً نوراً وتلسع لمعان البرق، بحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها، ومما زادها بهجة وزخرفة وجود الجواهر النفيسة، وقناديل ذهب وفضة، وغير ذلك من المعلقةات الغالية الثمن على القبر الشريف التي أهداها إليه ملوك الفرس وسلاطين الهند في عصور مختلفة مما يعجز قلم البليغ عن وصفها والإحاطة بكل ما هنالك من نفائس الجواهرات ونوادير الآثار.

وفي أقصى الحرم مصطبة نفيسة تحتها رمم الإمام، والمصطبة بديعة الصنع والنقش والحفر عجيبة الصبغ والتلوين ترى من وراء مثبك من الفضة الناصعة وهو ذو أربعة

أركان وفي جانب الطول منه ٥ شبابيك وعروش كل شباك منها ٨٠ سنتيمتراً ويتفرع من وسط الجانب الشرقي منه مثبك صغير من الفضة أيضاً على صريح ابنه علي الأكبر الذي قتل معه - وهو غير علي زين العابدين الذي فقيد مع الأسرى إلى الشام - وطول مثبك الحسين ٥ أمتار ونصف المتر في عرض ٤ أمتار ونصف متر وارتفاعه ٣ أمتار ونصف متر وطول مثبك الابن متران و ٦٠ سنتيمتراً في عرض متر و ٤٠ سنتيمتراً، وفي أعلى مثبك الحسين ١٦ آنية مستطيلة الشكل كلها من الذهب الإبريز وفي كل ركن من المثبكين رمانة من الذهب يبلغ طولها قرابة نصف متر وسماء ذلك الحرم مغطاة بقطع من المرثي على شكل لا يقدر أن يصفه واصف.

وفي الزاوية الجنوبية من الحرم قبر الشهداء وهم ملحودون على صريح واحد وعلى وجه تلك الزاوية مثبك من الفضة الناصعة طوله أربعة أمتار و ٨٠ سنتيمتراً وهو عبارة عن ٤ شبابيك عرض كل واحد منهم ٧٥ سنتيمتراً وارتفاعه متر و ٧٠ سنتيمتراً، ويغطي الحرم كله قبة شاهقة مغطاة من أسفلها إلى أعلاها بالذهب الإبريز، وفي محيطها من الأسفل ١٢ شباكاً عرض كل شباك متر واحد من الداخل ومتر و ٣٠ سنتيمتراً من الخارج ويبلغ ارتفاع القبة من أسفلها أي من سطح الحرم إلى أعلاه قرابة ١٥ متراً.

وفي هذا الجامع ثلاث مآذن كبيرة يناطحن السحب بذهلمهن صعوداً في الهواء اثنان منها مطليتان بالذهب الروماج وهما حول الحرم والثالثة مبنية بالقاشاني وهي ملتصقة بالسور الخارجي من الجانب الشرقي وهناك أيضاً ساعة كبيرة مبنية على برج شاهق يراهما المرء من مكان قصي، وصفوة القول أن الكاتب مهما أوتي من البلاغة والفصاحة والإجادة في الوصف لا يمكنه أن يصف كل ما في هذا المسجد الضخم من الأبنية والأروقة والترينات وما كتبه ليس إلا ذرة من جبل أو نقطة من بحر زاخر.

## ٢ نخة تاريخية في بناء المسجد والقبر

يرتقي تأسيس القبر إلى أيام مقتل الحسين ومما يؤخذ من كلام جعفر بن قولويه في كتابه كامل الزيارة أن الذين دفنوا الحسين رضي الله عنه أقاموا رسماً لقبره ونصبوا له علامة وبناء لا يدرس أثره وفي سنة ٦٥هـ - ٦٨٤م قدم لزيارة رmse سليمان بن صرد الجزاعي مع الثائرين لأخذ ثارات الحسين وأصحابه، وقد ازدحموا على قبره كازدحام الناس على الحجر الأسود ولم يكن إذ ذاك ما يظلل قبره الشريف وجاء في كتاب كثر المصائب أن المختار بن أبي عبيدة الثقفي قام بتشييد قبره واتخذ قرية حولهن وذكر صاحب كثر المصائب عن أبي حمزة الشمالي - المتوفى في عهد المصور العباسي - عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ما نصه . . . فإذا آتيت الباب الذي يلي الشرق فقف على الباب وقل . . . ثم تخرج من المقيفة وقف بجذاء قبور الشهداء . . . وأيد لهذا المعنى خير المجلس الطوسي في المجلد ٢٢ من البحار ٨٠ - ١٠٢ طبع إيران والسيد ابن طاووس في إقبال الأعمال صفحة ٢٨ طبع عجم وهذا ما يدل على أن له باباً شرقياً وغربياً وخلاصة القول أنه كان في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية بناء ذو شأن على قبره ومع هذا فقد كان الأمويون يقيمون على قبره المسالخ لمنع الوافدين إليه من زيارته.

ولم يزل القبر بعد سقوط بني أمية وهو بعيد عن كل انتهاك لاشتعال الدولة العباسية بعدادة شؤون الملك ولظهورها بادئ الأمر مظهر القائم بإرجاع سلطة الهاشمين وغير خفي أن القانمين بالدعوة كانوا من أهل خراسان، وأكثر هؤلاء إن لم نقل كلهم كانوا من أنصار آل هاشم، ولما رسخت قدم العباسيين في البلاد وقمعوا الثورات وجهروا بمعادة شيعة علي رضي الله عنه ولكنها كانت خفيفة الوطأة أيام المصور والمهدي والهادي، وثقلت وطاقم عليهم أيام الرشيد فإنه تظاهر بمناهضة العلويين

فسجن كبارهم وفتك بساداتهم وأهان عظمائهم حتى أنه سجن عدد كبير من سادات آل البيت وخرب قبر الحسين وقطع السدرة وكرب موضع القبر ولعل ذلك كان لارتياحه من شيعة علي، ولما جاء دور المأمون تنفس الشيعة الصعداء واستنشقوا ريح الحرية الرطيب وكان المأمون يتظاهر بحبه لآل البيت حياً حتى أنه استعاض بلبس السواد وهو شعار العباسيين بلبس الخضرة وهو شعار العلويين وأوصى بالخلافة من بعده لعلي بن الرضا بن موسى الكاظم ولعل ذلك كيد منه لآخيه الأمين واسترضاء لمناصريه الخراسانيين، وفي زمن المأمون أعيد موضع القبر وأقيم عليه بناء شامخ.

وبقي الحال على هذا المنوال والشيعة في حالة حسنة إلى أن جاء دور المتوكل فضيق الخناق عليهم وطاردهم في الآفاق وأمر بهدم قبر الحسين وحرث أرضه وإسالة الماء إليه وأقام في المساخ أناساً يترصدون لمن يأتي لزيارته أو يهتدي إلى موضع قبره فحصل للشيعة من ذلك كرب عظيم، وقد نالت فرقة الشيعة شيئاً من الحرية على عهد المنتصر وكان هذا محباً لآل البيت ومقرباً لهم رافعاً مكانتهم معظماً قدرهم ومن حسانه إليهم أنه شيد قبر الحسين ووضع ميلاً عالياً يرشد الناس إليه، وفي خلافة المسترشد بالله ضاقت الأرض على رحبها بالشيعة لما أخذ المسترشد جميع ما اجتمع في خزانة القبر من الأموال والمجوهرات ففتق على جيوشه قاتلاً أن القبر لا يحتاج إلى خزينة إلا أنه لم يتعرض للبناء ولم يمسه بسوء من ذلك الحين أخذت كربلاء بالاتساع فاتخذت الدور وشيدت القصور وأقيمت الأسواق.

وكان البناء الذي شيد في عهد المنتصر قد سقط في ذي الحجة سنة ٢٧٣هـ - ٨٨٦م فقام إلى تجديده محمد بن زيد القائم بطبرستان في خلافة المعتضد العباسي سنة ٢٨٣هـ - ٨٩٦م وقد زار القبر عضد الدولة بن بويه ٣٧٠هـ - ٩٨٠م بعد أن بالغ في تشييد الأبنية حول الصريح وكان عدد من جاور القبر في ذلك العهد من العلويين

٢٢٠٠ نسمة فأجزل لهم عضد الدولة من العطايا وكان ما بذل لهم مائة ألف رطل من التمر وكان آل بويه من أنصار مذهب الشيعة واستفحل التشيع على عهدهم حتى أن معز الدولة أمر سنة ٣٥٢هـ - ٩٦٣م بإقامة المآثم في عاشوراء فكان ذلك أول مآثم أقيم في بغداد وفي سنة ٤٠٨هـ - ١٠١٧م ثبت النار حول الضريح من شمعتين كبيرتين سقطتا على المفروشات فالتهمت النار القبة وتعدمتا إلى الأروقة ولم يبق من المسجد إلا السور وشيء من الحرم فرمم وهو الذي وصفه ابن بطوطة في رحلته وفي سنة ٧٦٧هـ - ١٣٦٥م شيد السلطان إدريس الأيلكاني المسجد والحرم وأتمه وأكملته ولده السلطان حسين وقد وجد تاريخ هذا البناء على الخل المعروف عند أهالي كربلاء بخل مريم فيما يلي الرأس وقد شاهده محمد بن سليمان بن زوير السليمانى وقد كان أنزل هذا التاريخ سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م وفي سنة ٩٣٢هـ - ١٥٢٥م أهدى الشاه إسماعيل الصفوي صندوقاً بديع الصنع إلى القبر الطاهر وفي سنة ١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م شهد السلطان مراد الرابع القبة المنورة وجصص خارجها وفي سنة ١١٣٥هـ - ١٧٢٢م نصت زوجة نادر شاه وكريمة حسين الصفوي إلى تعبير المسجد المطهر وأنفقت على ذلك أموالاً لا تحصى، وفي أوائل القرن التاسع عشر أهدى فتح علي شاه أحد ملوك إيران شبكة من الفضة وهي اليوم موجودة على القبر وفي ١٢١٦هـ - ١٨٠١م أمر محمد علي خان بتريين الحرم الشريف وتعبيده وبذل لذلك مبالغ وفيرة، ويوجد اليوم في أعلى أبواب الفضة فوق الآيات القرآنية فيما يقابل الوجه الشريف، وحوالى هذا التاريخ أمرت زوجة فتح علي شاه بتذهيب المآذنتين، وفي سنة ١٢٧٣هـ - ١٨٦٥م غشيت قبة الحرم بالذهب على نفقة ناصر الدين شاه كما هو مكتوب على حائطها فوق الشايك بسطر من ذهب فيه بعض الآيات ولم يحدث بعد ذلك ما يهم تدوينه سوى ما جددت إنشائه في العهد

الأخير إدارة الأوقاف، هذا مجمل ما يمكن الوقوف عليه من تاريخ المسجد والقبر وربك علام الغيوب.

### ٣ وصف خزائن الأنسة في النجف وكربلاء

يوجد في كربلاء والنجف خزائن قديمة العهد فيها آثار ذات قيمة لا تتمن نذكر منها خزائنين للحسين والعباس رضي الله عنهما في كربلاء وخزائنين للإمام علي كرم الله وجهه وقد حوت هاتان الأخيرتان من الآثار التاريخية النفيسة ما لا يمكن وصفه لأحدهما بقيا بعيدتين عن أذى الوهابيين إبان حملتهم على العراق في أوائل القرن التاسع عشر، وأما خزائن الحسين والعباس فقد أتلّفها يد الضاع وذمب أكثر ما فيها أثناء الغارة الوهابية على كربلاء.

أما خزنتا الإمام علي في النجف فقد يتان منها واحدة لم تفتح ولم ترى عينها إنسان إلا مرة واحدة حينما أتى ناصر الدين شاه أواخر سنة ١٨٧٠ لزيارة قبور الأنسة في العراق، وكان ذلك بإرادة سنية استحصلها من السلطان عبد العزيز خان وقد حضر احتفال فتحها كمال باشا ناظر الأوقاف، وبناء على التماس ناصر الدين شاه من السلطان عبد العزيز أخرج منها قنديل مرصع بالحجارة الكريمة قيمته ٦٥٠٠ ليرة فعلق على المصطبة التي تحتها رمم الإمام وهذا القنديل لا يزال موجوداً إلى اليوم، وقد أهدي ناصر الدين شاه الخزانة سيفاً قيناً مرصعاً بالياقوت والجواهر وبعد أن تفقد ناصر الدين شاه ما فيها من الآثار النفيسة أقفلت وحتم على قفلها مدحت باشا والي بغداد وكمال باشا ناظر الأوقاف، وقد اختلف الناس في تخمين ما في هذه الخزانة من الجواهر فالبعض يدعي أن ما حوته من الجواهرات تناهز قيمته ٣٠ مليوناً من الجنيهات حتى قيل أن هناك درة كبيرة لا تُشْن محفوظة في ظرف من الزجاج ومن الأقوال المأثورة فيها أنها تقوم بإعمار العراق ولو خرب وهذه تعد اليوم من جملة

المعلقات الفاخرة على ضريح الإمام علي ومما يؤخذ من أقوال القيم على أموال  
وخزائن الإمام وهو ما يسمى عندهم كليل داران ما في هذه الخزانة وحدها تساوي  
قيمتها من ٦٠٠ ألف ليرة إلى ٧٠٠ ألف ليرة.

أما الخزانة الثانية فليست مفتوحة في كل وقت ولا يدخلها كل احد ومن نفائس ما  
حوته تاج ثمين عريق في القدم كان أهدها أحد سلاطين الهند قيل أن ثمنه يساوي  
١٠٠٠ جنيه عثماني وهناك سيف مرصع بالزمرد يقدر ثمنه بألفي ليرة، وفيها  
سجادات ثمينة دقيقة الصنع كان يجلس عليها ملوك الفرس وكل قطعة منها تساوي  
ألف جنيه، وأما ما فيها من شالات الكشمير والأنسجة التي تحار لها العقول  
وتستوقف الأبصار فما لا يحصى أحد ولا يحيط به واصف مهما أوتي من البلاغة.

ويوجد اليوم على ضريح الإمام علي تحف نفيسة ومعلقات لا نظير لها منها ظرف من  
الزجاج فيه تاج مرصع بالحجارة القديمة يقال أنه تاج ملك من ملوك إيران المتأخرين،  
هذا عدا ما هناك من القناديل الذهبية والمعلقات بديعة الشكل، ومما يدخل في عداد  
ذلك مكتبة مخطوطة حوت نفائس المخطوطات العديدة النظير منها نسخة من القرآن  
الكريم بخط الحسين بن علي بن أبي طالب إلى غير ذلك من نوادر الكتب  
والمخطوطات.

وأما خزانة العباس فهي أغنى الخزائن بعد خزاني الإمام علي وهي عبارة عن  
مستودع أسلحة هو عبارة عن غرفتين مملوءتين أسيافا ذات غرارين قامته ذات حد  
واحد، والذي يؤسف له إهمال ولاة الأمر هذه الأسلحة القديمة التي أصبحت أثرا  
بعد عين، وفيها صناديق عديدة مشحونة بأنواع الشالات الثمينة وأستار من الحرير  
المقصب، ومسارج شمعدانات ذهبية فاخرة، وسيف ذهبي فاخر مرصع محلي بالنقوش  
الدقيقة، وإبرة كبيرة من الألماس ذات قيمة عالية، ومسرحة شمعدان فاخرة مرصعة

بالحجارة القديمة قيل أنها تساوي ألف جنيه، هذا عدا السجاد الجميل المردان بأبدع التصاوير وأغرب النقوش، منها سجادة مصنوعة من الحرير دقيقة الصنع أهداها إلى الخزان الشاه عباس وقد كتب على حاشيتها كلب أستاذة حضرة عباس أي كلب عنة حضرة العباس.

أما خزانة الإمام الحسين فلم يبق منها على ما علم شيء جدير بالذكر، وكل ما هناك ١٦ إناءً مستطيلاً كلها من الذهب الإبريز وهي الآن موجودة في أعلى مكتب الحسين وقد مر ذكرها، وسب فقر خزانة الحسين ناشئ من وقوعها بين أيدي الوهابيين وسنصف في غير هذا الموطن ما فيه الوهابيون من خزائمه الحسين من مجوهرات وغيرها.

اظنك تعجب من غنى هذه الخزائن ولكن لو علمت أن كربلاء على اتساعها وكثيرة سكانها لا يوجد فيها اليوم مدرسة ثانوية لآزداد عجبك، ولو طفت قرى كربلاء واحدة بعد أخرى لرأيت كلها - عدا النجف الأشرف التي هي اليوم مقر العربية وموطن أدبائها وفصائلها - وفي أسوأ حال بل: لرأيت الجهل متفشياً بين أبنائها، على أي أقول ما أقول لو أن أهل الحل والعقد في العراق يولفون جمعية يثق بها الناس لبيع هذه الآثار في أسواق أوروبا ويشترروا بأنثامها عقارات أو يشتقون جدولاً أو يفتحون بها مصرفاً زراعياً أهلياً يساعد الفلاحين على قضاء حاجاتهم، وترويج مصالحهم، ويشنون مدرسة عالية في النجف أو كربلاء تدرس فيها العلوم الحديثة بالعربية بشرط أن يستقدموا أساتذة من علماء مصر والشام وينفقوا عليها من ريع تلك العقارات أو من مكاسب المصرف لخدموا المجتمع العراقي خدمة تذكر فشكر وكانت الفائدة عامة، بل إن هناك ما هو أكثر فائدة وأعظم شأنًا وهو أنهم يشتون بأنثامها بواخر يسرونها في نهر الفرات أو يمدون سكة حديدية بين بغداد وكربلاء

فتقرب البلاد بعضها من بعض وتسر الثروة وتزداد التجارة، ومن ريعها ينفقون على المدرسة، إذ هذا الزمن زمن التفكير بالمستقبل والعمل إلى ما فيه خير المجتمع لا وقت الكسل والخمول والانعكاف على القديم، وأي خير من خزان لا تفيد الأمة في وقت الحاجة والضيق، في وقت يتسابق الأتقوام إلى الاستضاءة بنيراس الحضارة ونحن في ظلمات الجهل تانهون، وتتراكض الشعوب إلى اقتطاف ثمار الفنون البانعة ونحن عن ذلك لاهون، ولا أظن أحدا يعارض هذه الفكرة أو يحول دون إبرازها إلى الوجود سواء كان من رجال الحكومة أو من رجال الجعفرية هذا وإني أحث أدباء النجف على أن يكونوا أول القائمين بهذا الأمر لأهم قادة العراق وذوو الأمر والنهي فيه، فيشئون مقالات في هذا الشأن مظهرين ارتياحهم لذلك، وربيك الهادي إلى طريق الصواب.

#### 4 نذرة من تاريخ كربلاء القديم والحديث

لم تكن كربلاء في العهد العبيدي قبل الفتح الإسلامي بلدة نستحق الذكر، ولم يرد ذكرها في التاريخ إلا نادراً وأكثر ذلك في عرض الكلام عما كان يقع في الحيرة وقرى الطف من الوقائع. وكانت قبل أن يفتحها المسلمون قرية حقيرة عليها مزارع وضياح لدهاقين العجم. وكان سكانها أهل حراقة وزراعة وظلت كذلك إلى أن افتتحها المسلمون في عهد عمر ابن الخطاب سنة ١٤هـ - ٦٣٥م وكان الفاتح لها ابن عرفطه بأمر سعد بن أبي وقاص قائد جيوش المسلمين في حرب القادسية، وقد كانت العرب صمدت على أن تجعلها مباءة لجيوشها ومركزاً لإدارة ما فتحوه من ديار الحيرة فاتخذوها بادئ بدء معسكراً ثم رحلوا عنها عندما أنكروا وخامة هوائها وكثرة ذبائها فزلوا الكوفة. وإلى ذباب كربلاء أشار رجل من أشجع في قصيدته:

لقد حبت كربلاء عن مطيبي ... وفي العين حتى عاد غنّاً سمينها

إذا رحلت من منزل رجعت له ... لعمرى وايتهاً إنني لأهيتها

وتعنها من ماء كل شريعة ... رفاف من الذبان رزق غيرها

ولما رحل المسلمون عنها قل شأنا وكادت تغفر رسومها ويحفي ذكرها ومازالت إلى أن عاد ذكرها ما حدث حولها ٦١ هـ - ٦٨٠ م من الحوادث الخطير التي أدهشت العالم الإسلامي إلا وهي وقعة كربلاء والطف المخزنة التي قتل فيها الحسين بن علي ونفر قليل من أصحابه رضي الله عنهم لمطالبته بالخلافة وأنفة من مبايعة يزيد بن أبي سفيان لأنه يرى نفسه أحق بها منه. ومن ذلك الحين ذاع صيت هذه المدينة في الآفاق وانتشر في الأقطار، وقد جاء ذكرها في أشعار العرب ودواوينهم ومع هذا لم تكن في القرن الأول الهجري عامرة، ومع ما كان في أنفس الهاشمين وشيعتهم من مجاورة قبر الحسين لم يتمكنوا من اتخاذ الدور وتشييد بنايات خرفاً من سلطان بني أمية، وقد أخذت في التقدم في أوائل الدولة العباسية ورجعت الفهقرى أيام الرشيد وقد ازداد خرابها في أيام المتوكل لأنه هدم قبر الحسين فرحل عنها سكانها، ثم أخذ الشيعة أيام المنتصر يتوافدون إلى كربلاء أفواجاً وأفواجاً ويعبرونها ثم ضخمت في القرن الرابع للهجرة وقد زارها عضد الدولة بن بويه سنة ٣٧ هـ - ٩٨٠ م وكانت مدينة عامرة آهلة بالسكان يقطنها آلاف النفوس وقد وصفها ابن بطوطة قال:

هي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات، والروضة المقدسة داخلها، وعليها مدرسة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والخارج وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخلها أحد إلا بإذنه فيقبل العبة الشريفة وهي الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحديد، وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد دحبل وأولاد فاتر بينهم القتال أبداً وهم جميعاً أمامية ولأجل فتهم تخربت هذه المدينة اهـ.

ولم تزل كربلاء بين صعود وهبوط ورقى والمخاطبات تارة تنحط فتخضع لدول  
الطوائف وطوراً تعمر متقدمة بعض القدم إلى أن دخلت في حوزة الدولة العثمانية  
سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٤م وأخذت تنفس الصعداء لما أصابها نكبات الزمان وحوادث  
الدهر التي كادت تقضي عليها، وبقيت وهي مطمئنة البال مدة طويلة تزيد على ثلاثة  
قرون لم ترقى في خلالها ما يكدر صفو سكانها حتى جاءت سنة ٢١٦هـ - ١٨٠١م  
جهر الأمير سعود الروهابي جيشاً غمرماً مؤلفاً من ٢٠ ألف مقاتل وهجم بهم على  
مدينة كربلاء وكانت على غاية من الشهرة والفخامة يتابها زوار الفرس والترک  
والعرب فدخل سعود المدينة بعد أن ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتلاً شديداً،  
وكان سور المدينة مركباً من أفلاق نخيل مرصوة خلف حائط من طين، وقد ارتكب  
الجيش فيها من الفظائع ما لا يوصف حتى قيل أنه قتل في ليلة واحدة ٢٠ ألف نسمة  
وبعد أن تم الأمير سعود مهمة الحربية التفت نحو خزانة والقبور وكانت مثحونة  
بالأموال الوفيرة وكل شيء نفيس فأخذ كل ما وجد فيها. وقيل أنه فتح كزراً كان  
فيه أموال جمّة جمعت من الزوار، وكان من جملة ما أخذ لؤلؤة كبيرة وعشرون سيفاً  
محملة جميعها بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة، وأوان ذهبية وفضية وفيروز وألماس  
وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر، وقيل أن من جملة ما فبه سعود أثاثات  
الروضة وفرشها منها ٤٠٠٠ شال كشيري و٢٠٠٠ سيف من الفضة وكثير من  
البنادق والأسلحة وقد صارت كربلاء بعد هذه الواقعة في حال يرثى لها.

وقد عاد إليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فأصلح بعد خرابها وأعاد إليها العمران  
رويداً رويداً وقد زارها في أوائل القرن التاسع عشر أحد ملوك الهند فأشفق على  
حالتها وبني فيها أسواقاً حسناء وبيوتاً قوراء أسكنها بعض من نكبوا، وبني للبلدة  
سوراً حصيناً لصد هجمات الأعداء وأقام حوله الأبراج والمعازل ونصب له آلات

الدفاع على الطرز القديم وصارت على ما يهاجمها أمتع من عقاب الجوفامنت على نفسها وعاد إليها بعض الرقي والتقدم.

وفي سنة ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م وقعت واقعة عظيمة تعرف بوقعة المناخور - أمير الأخور أي أمير الاصطل، وذلك أن الدولة العثمانية كانت في ذلك الزمن ضعيفة لاحتلال الجيش الإنكشاري واستقلال البلاد القاصية واستغالها بمحاربة العصاة في البلقان وطسوح محمد علي ووالي مصر إلى الاستقلال واستقلال علي باشا لنلي تبه في ألبانيا، وكان والياً على العراق إذ ذلك داود باشا وكان نقياً عادلاً ورعاً مشهوراً بالدهاء وفرط الذكاء إلا أنه كان شديد الحرص على الانسلاخ من جسم الدولة والاستقلال بالعراق أسوة بمن تقدمه. فعلى بادئ بدء إلى جلب قلوب الأهالي بما أنشأه من العمارات والبنيات والجوامع والتكايا. وقرب علماء العراق وبالغ في إكرامهم ونظم جيشاً كبيراً وأسلحة على الطراز الجديد حينئذ، فقاوم بعد ذلك يدعو الناس إلى بيعته، ولكثرة ما كان لديه من الأعدان بايعه أكثر مدن عراق العرب إلا كربلاء والحلة فرفعا راية العصيان وعند ذلك سير جيشاً ضخماً بقيادة أمير اصطبله وكانت عشيرة عقيل تعضده فأخضع القائد الحلة واستباح جامها ثم جاء كربلاء فحاصرها ثمانية عشر شهراً ولم يقو على افتتاحها لحصانة سورها ومناعة معقلها. ولما رأى ذلك أقبل عنها ثم كر عليها ثانياً وثالثاً فلم يفر بأمنته إلا بعد حصار طالته مدته أربع سنوات من سنة ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م إلى سنة ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م وكانت نتيجتها أن أسر الجيش نقيب كربلاء فسجنه داود باشا في بغداد.

وفي سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م شن أهالي كربلاء عصا الطاعة على الدولة وأبوا أداء الضرائب والمكوس وكان والي العراق نجيب باشا فجهز جيشاً بقيادة سعد الله باشا وسيره إلى كربلاء فحاصرها حصاراً شديداً وأمطر المدينة بوابل قنابله ولم يساعده

الخط على افتتاحها لأن سورها كان منيعاً جداً وقلاعها محكمة لا يمكن للقائد الدنو منها، ولما أعييت به الحيل الحربية التجأ إلى الخداع فأعطى الأمان للعصاة وضمن لهم عفو الحكومة فأخلوا القلاع وجاؤد طائعين فقبض عليهم وسلط المدافع على جهة السور الشرقية فهدمها وأصلى المدينة ناراً حامية، ففتحها وارتكب فيها فظاعة وشناعة، ودخل بجيشه إلى صحن العباس وقتل كل من لاذ بالقبر وهذه الموبقات أعاد سلطة الحكومة إلى تلك الربوع.

وفي سنة ١٢٩٣هـ - ١٨٤٢م ظهرت فتنة بكربلاء تعرف بفتنة (علي هدلة) وذلك أن جماعة من المفسدين حرصت من الأهالي على مناوأة الحكومة وكانت أفكار الأهالي مسعدة لقبولها فألفت عصاة بقيادة علي هدلة وقابلت الجيش العثماني ودحرته في مواقع متعددة. ولما رن صدى هذه الحادثة في الآستانة قلقل السلطان المخلوع وأصدر إرادة سنية بإرسال الجيوش إلى كربلاء ومهددها وقتل من فيها عن بكرة أبيهم. وناط تنفيذ الإرادة بعاكف باشا والي بغداد والمشير حسين فوزي باشا وكان هذا القائد عاماً للجيش فجاء الاثنان كربلاء يصحهما نقيب بغداد السابقين وضربوا المضارب قرب المدينة، فلم ير الرائي في المدينة آثار العصيان والتمرد. وقد علم بعد البحث الطويل أن العصاة عصاة ارتكبت إثماً واقترفت ذنباً يطاردها الجيش وليس من العدل هدم المدينة وتنفيذ الإرادة السنية على سكانها وأخذ البريء مجريرة المذنب فأحجم عن تنفيذ ذلك وفتح القائد العام فآبى هذا إلا الإصرار على تنفيذ الأوامر فحجم من ذلك خلاف بينهما فرجعا إلى الآستانة وخاطباها بالأمر وبعد أخذ ورد صدر الأمر بالعفو، فرحل الجيش عنها بعد أن قبض على مشري الفتنة وموقدي نيرانها قادمهم إلى بغداد ومن هناك ألقاهم في أعماق السجون.

## فجر العلم الجديد

أفق إذ شارف الدجى أجله ... وودعته النجوم مرتحله  
وفحمة الليل علقت سحراً ... شرارة النور فهي مشتعلة  
ومقلة الفجر في انتاباتها ... ما برحت بالظلام متكحلة  
لا سائر في السيل منصرف ... في طاعة أو مباكر عمله  
إلا خفير يمشي على مهل ... همى عليه نعاسه العجوله  
يحيل في كفه مراوته ... أو يتفخ البوق طارداً ممله  
والغيث غمر الحياء سادلة ... خيوطه من سحاب مطله  
يعزل الأرض سندساً هجاً ... فتكتسي في الربيع ما غزله  
والرياح رعناء تجمها ... على زجاج الكوى ومقتله  
تشد في عصفها لسكله ... مقبله تارة ومنقله  
ترومه عنوة فيعجزها ... والنور باللين نافذ خلله  
ذكرت أيامنا التي سلفت ... فداخلني صباية ووله  
كم غدوة نرشف الصبح منها ... أطرافها بالظلام متصلة  
يدير كأس الطلى مئعثة ... فتصبح الشمس في الضحى خجله  
فتحياها من كف فاتنة ... عصيت فيها اللوام والعدله  
وحتى نحال النجوم هاوية ... والأرض في مشيها بنا ثمله  
ونحسب الدهر في كهولته ... والشيب غض الشياب مقتله  
وأطيب العمر ما انطوى وطوى ... وقانع المرء ما عليه وله  
وليس مستقبلاً نشك به ... أمانه قد تصيب أو وجله  
كيف يهز الغد الفتى جذلاً ... وربما كان فجره أجله

لولا التمني لهاله غده ... وحقه أن يخاف ما جهله  
 أطل طفل الزمان فابتسمت ... له ثغور الخلائق الجذله  
 فهل يطيل ابتسامهن وهل ... يرعى الرجاء الذي لنا قبله  
 مروحا حانياً على أمل ... غض أبوه الزمان قد مجله  
 وهل يؤاسي الجراح منعظاً ... على أخي الوجد شافياً علله  
 إذا جن الظلام أنسه ... بالبدر أو حمل الصبا قبله  
 وأن يخنه في نفسه عرضاً ... حقق فيمن يحبه أمه  
 وهل يفى أو نرى لياليه ... غاشية بالخطوب مشتمله  
 تمر بالناس غير مثففة ... وبالأماني غير محفله  
 سر عن العالمين محتجب ... عليه ستر للغيب قد سدله  
 دمشق // جرجي الحداد.

### مطبوعات ومخطوطات

#### الإشارات الإلهية للتوحيدي

في المكتبة الظاهرية بدمشق الجزء الأول من هذه الكتاب لأبي حيان التوحيدي صاحب المقابسات (المقبس ١٣ ص ٣٠٢) من كبار المثقنين في عصره وأئمة العلم والأدب وكتابه في مخاطبة النفس جاء في أوله: اللهم إنا نسألك ما يُسأل لا عن ثقة بياض وجوهنا عندك وأفعالنا معك وسوائف إحساننا قبلك ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطبعاً في رحمتك الواسعة نعم وعن توحيد لا يشوبه إشراك وعرفة لا يخاطبها إنكار وإن كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة نسألك أن لا ترد علينا هذه الثقة بك فتشمت بنا من لم يكن له هذه الوسيلة إليك يا حافظ الأسرار ويا صميل الأستار ويا واهب الأعمار ويا منقضي الأخيار ويا موج الليل

والنهار ويا مصافي الأخيار ويا مداري الأشرار ويا منقذ الأبرار من النار والعار وعد  
علينا بصفحك عن زلاتنا وأنعتنا عند تنابع صرعاتنا وحطة حالنا معم في اختلاف  
سكراتنا وصحواتنا وكن لنا وإن لم نكن لأنفسنا لأنك أولى بنا وإذا خفنا منك فابرح  
خوفنا منك برحمتنا فيك وإذا غلبت علينا بأسنا منك فتلقه بالأمل فيك الخ.

وقال من فصل: أيها المخاور والصديق المخاور كيف أتكلّم والثوّاد هاتم بكل واد  
والخاطر خال من كل حاد وهاد كيف أشكو والسر ظاهر باد أم بأي شيء أتعلل  
وكل ما أحده مردد ومعاد أم على من اعتمد وكل أحد أراه فهو لي ضد ومعاد.  
أنفاسي محترقة بالحسرات ودموعي مترققة بين النغمات والزفرات وكيدي مشتعلة  
على المناظر والهيات ويقظتي جارية على الرسوم والعادات وأحلامي عارية من كل  
ما له حاصل وثبات ونفسي رهينة بالسينات مفتونة بالحسنات بالسوانح والخطرات  
مغبونة عن الحسنات والصالحات. الجهات من دوي مسددة والوجود أمامي مسودة  
إن قلت قيل هذا زور وبهتان وإن شربت قيل هذا غرور وعدوان وإن سكت قيل  
هذا سهو ونسيان قلت من ابتلاني بما لا طاقة لي به ارحمني بما لا غنى لي عنه أو ليت  
منة طردني عن باب أهلي لعنابه أو ليت من جرعتي مرّاً من فراقه أخطر على باني  
حلاوة لقائه أو ليت من غمسي في بحر البلوى طرحني إلى ساحل المنى أو ليت من  
حطني عن درجات المخدمين رقاني إلى قامات الخدم الخ.

وقال من رسالة: حرام على قلب استنار بنو الله أن يكفر في غير عظمة الله حرام على  
لسان تعود ذكر الله أن يذكر غير الله حرام على نفس طهرت من أدناس الدنيا لله أن  
تدنس بشيء مخالفة لله حرام إلى عين نظرت إلى مملكة الله أن تحدق إلى غير الله حرام  
على كبد ابتلت بالثقة بالله أن تطمن إلى غير الله حرام لع== على من لم يجد الخير  
إلا من الله أن يجد طمعاً في غير الله حرام على من شرف بخدمة الله أن يتضع بخدمة

غير الله حرام على من ألف فناء الله أن يعرج إلى غير الله حرام على من تلذذ بمناجاة الله أن يناجي غير الله حرام على من رتع في نعمة الله أن يعد غير الله الخ. وأكثر الكتاب على هذا النمط وهو في مجلد ضخم يغلب عليه التحريف والتصنيف.

### التحفة الظريفة

في خزانة كتب عبد القادر بك المؤيد من فضلاء دمشق.

نسخة من كتاب التحفة الظريفة الحاوية من كل نكتة لطيفة المسماة بمجموعة الحكيم جمع السيد حسن بن السيد عثمان الحكيم جمعه سنة ١٨٨٨ في عصر بارت فيه صناعة الأدب وجدت القرائح وتراجعت العلوم ومن أحسن ما رأينا في آخر الكتاب تقارظ بعض أدباء عصره وفقهائه في دمشق وأكثرها شعر ضعيف ركيك فمنها تفریط لحمزة أفندي زاده وآحر للسيد علي العمادي ولأحمد أفندي العمادي والسيد كمال الدين البكري ومحمد شاكر أفندي العمري والسيد أحمد الشمسي العمري والشيخ عمر العمري والشيخ محمد العمري والسيد عبد الفتاح مغيزل والسيد علي الشعبة والسيد خليل بن قرا مصطفى والشيخ محمد البصري والسيد مصطفى اللوجي والسيد عبد الخالق اللوجي والسيد يحيى العطار والسيد محمد أمين العطار والشيخ محمد البصر و خليل أفندي انخاسني والشيخ محمد الطباع الحلبي والشيخ علي الخلد والشيخ صالح بن الشيخ محمد الدسوقي والحاج أحمد الرباط ومن أرق الشعر الوارد بيتان للشيخ علي الشعبة وهما قوله:

أبدى لنا حسن الشريف لعلاناً ... قد صاغها لذوي النهى مجموعاً

كل المفرق من محاسن عصره ... أضحى لدى مجموعته مجموعاً

وقد رتب الجامع كتابه على خمسة عشر باباً الأول في نوادر العرب والثاني في المغفلين الثالث في القضاة الرابع في المعلمين الخامس في الضنين السادس في النحاة السابع في الأطباء الثامن في الشعراء التاسع في الأهاجي والرسائل العاشر في الأجوبة المسئلة الحادي عشر في نوادر النساء والجواري والمغنيات الثاني عشر في نوادر العلماء والخدم الثالث عشر في نوادر البخلاء الرابع عشر في نوادر الطفيلية وأخبار الطعام والأكل الخامس عشر في نوادر شتى مختلفة المعنى.

ومن نوادره: خرج الحجاج بن يوسف الثقفي يتصيد فرأى أعرابياً فقال له أيها الأعرابي كيف تقول في الحجاج وأفعاله فقال الأعرابي: إيش أقول في رجل عشموم ظلوم مشزوم ما ولي هذا القطر اشتر منه لعنه الله ولعن من ولاه علينا فيسما هو كذلك إذ أحاطت به الجند فقال الحجاج: حدوا لهذا قال الأعرابي لمن يليه: من هذا فقالوا له: الحجاج فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ثم ناداه يا حجاج قال: قل ما تشاء قال له: السر الذي كان بيننا أحب أن يكون مكتوماً فضحك الحجاج وأطلقه. وخرج الحجاج ذات يوم متزهماً فرأى أعرابياً فقال له: أيها العرب من خير القرب قال قريش قال ولم ذلك قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم منهم قال: فمن أشتر العرب قال: ثقيف قال: ولم ذلك قال لأن الحجاج منهم قال أندري من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال الأعرابي جعلت فداك أتعرف من أنا قال لا قال أنا مولى بن عامر أجن في كل سنة ثلاثة أيام وهذا اليوم أشدهما فضحك ووصله وأطلقه.

وقيل خطب المنصور يوماً بالشام فقال في خطبته ينبغي لكم أن تحمدوا الله على ما وهب لكم في أيامكم فإني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يبيحكم في أيام بني مروان فقام إليه أعرابي كان في المسجد فقال إن الله أكرم من يجمع علينا أنت والطاعون معاً.

وقف المأمون على باب طحان فنظر إلى حمار له بدور الرحى وفي عنقه جرس فقال للطحان: لم جعلت هذا الجرس في عنق الحمار فقال ربما أدركني النوم فإذا لم أسمع حس الجرس علمت أن الحمار قد وقف فأصبح عليه ليدور قال أرأيت لو وقف وحرك رأسه بالجرس فقال ومن أين للحمار عقل مثل عقلك أيها الأمير حتى يفعل مثل هذا.

وحكى أنه أمّ رجل من الظرفاء قوماً أياماً وكانوا من الخفل بمكان عظيم وكانوا يطعمونه الخبز والكامخ لا يزيدونه شيئاً فصلى بهم يوماً الصبح فقراً في الركعة الأولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا أنتمكم الكامخ بل لحمًا وإن لم تجدوا لحمًا فيضًا وسمنًا ومن يفعل ذلك منكم فقد خسر خسراناً ميبساً.

وقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة فإن لم تجدوا بيضاً وسمناً فسمكاً فإن لم تجدوا سمكاً فلباً أو حلياً ولا تخضوه تخيضاً ومن لم يفعل ذلك فقد افتري إثماً عظيماً فلما فرغ من صلاته جاوزوا واعتذروا له عن التقصير في حقه وأنه لم يكن عندهم خبر بهذه الآيات العظيمة المومي بها في الأئمة ثم سأله في أي سورة هذه الآيات الشريفات فقال لهم في سورة المائدة في حزب الأكل لأي شيء سميت سورة وهي تنبئ عن مثل هذا كثير.

والكتاب على هذا النمط وفيه من الحكايات ما لا يصح أمّ يقرأ لكل إنسان لعدم الإلف بأمثاله في هذا العصر ومن الأشعار التي رواها قصائد هجوية لمصطفى بك الترمزي وأماجي عبيدي باشا وفيه رسالة لرجب الحريري مداعباً صديقاً له يقال له ابن الخليفة في بعليك ورسالة الوهراني التي كتبها على لسان بغلته وعلقها في عنقها وسيبها في دار الأمير عز الدين ابن متوسك (المقتبس المجلد الأول) ورسالة أبي نواس

الهزلية إلى بعض أصحابه ورسالة ابن الطليوني إلى القاضي عمر المغربي ورسالة أبي بكر الخوارزمي إلى البديهي إلى غير ذلك من النوادر والأشعار.  
لغة العرب

يسرنا أن نرى الأعمال العلمية تنمو النمو المطلوب في بلاد العرب ولاسيما في مصر وتونس والعراق والشام أكثر الأقطار العربية مدنية وأقدمها في الأخذ بتداهب العلم والتعليم. ومجلة لغة العرب لصديقنا الأب أنستاس الكرملي هي في مقدمة ما يفاخر به من الأعمال التي ظهرت في عهد الحرية الصحافية في الشام والعراق فإن المقالات التي تنشرها رصيفتنا في اللغة والنقد الأدبي وتاريخ العراق وعمرانها على جانب عظيم من التحقيق حري بأن يخلد في خزائن الكتب دليلاً على حالة العراق العلمية في هذا العهد وقد بلغ فيها صاحبها في مدة لم تبلغ الحولين مبالغ اجلالت التي مضى عليها سنين كثيرة تعاني البحث والنقل وزادت أما علمية محضة لا تتعرض للأبحاث الدينية فجدير بالتأديين والمستيرين أن يستفيدوا مما تنشره الشهر بعد الشهر لخدمة الآداب العربية وأن تعد في الندية العلمية في جملة حسنات اخسين في التأليف الذين يقدمون على خدمة العلم والأدب بعد أن يدرسوا موضوعاتهم ويخبروا فيها أعواماً طويلة ليدخلوا البيوت من أبوابها ولو كتب العامة مجلاتنا التي صدرت منذ أربعين سنة إلى الآن يكون مشنوها أكفاء لعملهم لما بارت بضاعة العلم هذا البوار المخجل ولنفعت في تثيف العقول أضعاف أضعاف ما نفعت.

كتاب طبقات الأمم

للقاضي أبي القاسم صاعد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢هـ - نشر الأب

لويس شيخو طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢

هذا الكتاب النفيس الذي وفق رصيفنا منشىء مجلة المشرق إلى نشره تبعاً في مجلته هو أشبه بفهرست ابن النديم وقد أحسن الناشر نشره وطبعه وتعليق حواشي عليه على عادته في معظم ما نشره في كتب العرب. ومن هذا الكتاب يعرف الإنسان اشتغال العرب بالعلوم المختلفة وينصفهم ولا يغمطهم حقهم. وقد كنا في أحد إعداد هذه السنة أشرنا ما وقع للأب شيخو من التحريف وصححناه بما هدانا إليه النظر والفكر ففضل الناشر الهدوء به بإضافة بعضه إلى آخر كتاب الطبقات على عادة الباحثين المصنفين في إثبات كل عمل لعامله لا كالذين يجد بهم ضيق عظيم إلى الاستئثار بما سبق له غيرهم ليقال أنهم هم كل شيء وغيرهم لا شيء وفق الله الناشر إلى نشر أمثاله لخدمة الآداب والمعارف.

### أخبار وأفكار

هو عنوان كتاب وقع في ٢٢٧ صفحة لمؤلفه أمين أفندي الغريب صاحب جريدة

### الحارس

وهو مجموعة أدب وتاريخ نشره في جريدته في أوقات مختلفة وتم العمل. وحذا لو حذا حدوده غيره من كتاب الصحف فإن في مقالاتهم ما ينبغي حفظه لتداوله الأيدي في صورة الكتب على الدهر.

### تاريخ بعلبك

أهدانا ميخائيل أفندي موسى ألوف نسخة من الطبعة العربية الثالثة من كتابه تاريخ بعلبك وفيه وصف مدقق لتاريخ هذه المدينة ولاسيما قلعتها الشهيرة نقلاً عن أصح المصادر الإفرنجية والعربية والتجارب الطويلة التي وقعت للكاتب وفي الكتاب صور بعض التماثيل والأحجار وما وجد عليها من النقوش والكتابات الأثرية مما دل على فضل وتدقيق وكان حرياً بأن يردن به المكاتب. وأحق الناس بتعرفة تاريخ بلد أهلهم.

فشكر المؤلف على هذه التحفة التي طبعة عشر مرات باللغات الأجنبية مما دل على الإقبال عليها للانتفاع مما حوت.

### دروس الأشياء

هو مختصر في هذا الفن فيه أبحاث عن الإنسان والحيوان والنبات وطبقات الأرض والحكمة الطبيعية والكيمياء تأليف فوزي بك العظم وسليم أفندي هاشم من أدباء دمشق وقد حياه باثني وثمانين شكلاً وبسطاً عبارته بسطاً لا يعلو عن مفهوم المتدني فلشكرهما على عنايتهما وفرجو لهما التوفيق إلى إكمال هذه السلسلة النافعة لطلاب المدارس ولاسيما الأهلية.

### رسائل مختلفة

(أمنال الشرق والغرب) ليوسف أفندي توما البستاني

اختيارات شيخ الإسلام ابنت تيمية جمعها تلميذه ابن قيم الجوزية

طبعت بمطابع روضة الشام

رسالة في مسائل الإسلام داود الظاهري جمعها الشيخ محمد الشطي المتوفى سنة

١٣١٧ طبعت بمطبعة روضة الشام.

ديوان تذكّر الغافل عن استحصال المآكل غمدي أفندي الخالد جلي الحمصي جعل

ربعه إعانة لبناء مدرسة الاتحاد الوطني بحمص.

طبع بمطبعة حماة سنة ١٣٣٠.

كتاب الجرح والتعديل للشيخ جمال الدين القاسمي نشر في مجلة المنار بمصر.

كتاب العمل بالإصطراب لعلي بن عيسى المنجم من أصحاب الهيئة في القرن الرابع

للهجرة عني بنشره في المشرق الأب لويس شيخو اليسوعي طبع في المطبعة

الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٣.

رسالة الخط الجديد ومنافعه وهو دعوة إلى كتابة الحروف منفصلة طبع على نفقة

جمعية إصلاح الحروف ونشر المعارف في الآستانة سنة ١٣٣٠.

أخبار وأفكار

البشر والمهجرة

يكاد يكون ف درجة الثبوت أن البشر نما عددهم منذ عرف التاريخ على الرغم مما  
 نالهم من الطوارئ التي ذكرها التاريخ من الحروب والأوبئة أو الأسباب الأخرى  
 التي تفقر النمو وتقال التناسل ومع هذا كان التناسل كثيراً في أوربا منذ بضعة قرون  
 وإن كان يكثر موت الأولاد في الطفولية أكثر من اليوم وتلتهم الأديار جانباً من  
 الرجال والنساء يتعطلون على التناسل وليس ترك الأرياف والقرى ونزول المدن  
 مقصوداً على بلد خاص أو صقع معين بل هو ظاهر في مكل مكان من البلاد الأوربية  
 القديمة مثل سويسرا وألمانيا وفرنسا وإنكلترا ونروج والبلجيك وهولاندة ظهوره في  
 البلاد التي أخذ سكانها بالنمو مقل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا فترك الأرياف  
 عام يشترك فيه جميع السلتيون: كاللاتين والسلافيون والروس والبلقانيين  
 والكونيين كالإنكليز ولا يظهر أن للأوضاع السياسية والاجتماعية دخلاً فيه وما  
 من حكومة من الحكومات خالية منه حتى أن طريقة تقسيم الأملاك لا تمسك الإنسان  
 في الحقول وليس في قوانين الموارث ما يظهر أنه أسمى من غيره فقد أخضعت لسلطان  
 المهجرة حتى البلدان المتماسكة الأجزاء مثل فرنسا وإنكلترا والمجر وروسيا والولايات  
 المتحدة وأستراليا والأرجنتين فإن أصقاعاً كبيرة استعمرت منذ زمن طويل في  
 الولايات المتحدة ولاسيما ولايات إنكلترا الجديدة قد خضعت لهذا النظام فترك أهلها  
 قراهم ليزلوا الحواضر يسكنونها فنمت بذلك المدن نحواً هائلاً بالنسبة لجموع البلاد  
 فقد سكن مدينة بونس أيرس عاصمة الجمهورية الفضية مليوناً وثلثمائة ألف في حين

بلغ سكان جميع هذه البلاد ستة ملايين نسمة تدخل فيها العاصمة ومساحة أراضي الأرجنتين خمسة أضعاف مساحة فرنسا وهكذا نجد النمو بادياً في مدن الولايات المتحدة كنيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا وسان لوي وسيناتي وبوسطن وسان فرانسيسكو وستل وأورليان الجديدة كما هو بادٍ في ملبورن وسيدني من عواصم أستراليا.

هذا ما قاله أحد الاقتصاديين في جريدة الاقتصاد وعقب عليه بقوله تحمل رؤوس أموال كثيرة من العالم القديم أي من أوروبا تستثمر في العالم الجديد فالمليون من الفرنكات يستثمر في أرض فرنسا فيعود بربح سنوي يختلف بين ثلثمائة أو مائتي ألف فرنك إذا حسبنا جميع الأبدى التي تتناوله فتربح منه على حين لو جرت تنمية هذا المليون في البلاد الأجنبية لا تعود من ال فائدة بأكثر من ٤٠ إلى ٤٥ ألف فرنك.

إن من يهاجر إلى القاصية كمن يتركون قراهم ليستوطنوا المدن المجاورة ليحتوا عن رفاية أسمى مما تمنعوا به ويظنون بأنهم يحققون أمانهم في النجاح بانتقالهم إلى محيط يصرفون فيه قوتهم بما يعود عليهم بالنفع أكثر. ومعنى ذلك يدور على البحث عن أجرة أكثر وهذا هو الباعث الأول على هذه النقلة بل الباعث الوحيد فالأجور هي العامل الوحيد الذي يدعو الناس إلى التقل في عصرنا ما أحب الهواء الحيد والحياة الاجتماعية ولطف الأخلاق وسلاسة العمل فليس لها محل من الإعراب في جملة هذه الحال.

ترى العامل في الولايات المتحدة وأستراليا ينتقل من المدن ال القرى وبالعكس لأن الأجور واحدة في الزراعة والصناعة وكلها راحة والقاعدة العامة في ذلك أن المدن والقرى تمسك السكان متى كانت أجورهم مضمونة وحالتهم مأمونة فقد قل المهاجرون من ألمانيا منذ كثرت صناعتها ونمت بحريتها وتجارتها وبقل المهاجرون من

البحر وروسيا وإيطاليا متى حنت الزراعة فيها وانتظمت أسباب التملك وجوّدت الأسباب الاقتصادية أي الأجور فإذا كانت البلاد الجديدة تستيل إليها المهاجرين نبات الألف بل الملايين فذلك لأنّها توزع أجوراً عالية وأوربا وإنكلترا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وروسيا وبنجر تبقى اليد العاملة في الحقول إذا ارتفع سعر الأجور الزراعية وذلك لا يكون إلا بتوزيع الزراعة وتكثير المحاصيل والمواشي وتكثير الإيراد ولو قلت أسعار الحاصلات.

إن هولاندة التي تعتبر مجموعها أرضاً فقيرة لأن في استثمارها صعوبة كثر سكانها اليوم كثرة زائد بفضل عملهم بحيث يحق على الهولانديين ما قاله فرنكلين بالقرب من رغبة الخبز يولد رجل والمرء كلما دفعته الحاجة يحسن الاحتيال على المعاش وأميركا وأستراليا إلى اليوم لم تستثمر من أرضها خيراً كما كلها بل إن خصبها هو المساعد فقط على العكس في غربي أوروبا فإن العمل هو الذي يستثمرها وبعد فإن المجتمعات لا تتحرك بالنظريات بل بالعمليات وكل نظرية تخالف المصالح الخاصة المبنية على العدل لا يتأتى أن تجري في العمل إلا إذا جعلت هذه المصالح قيد النظر.

### غلاء المعيشة

ذكرت إحدى الصحف الإفرنجية أن غلاء المعيشة ابتداء سنة ١٨٩٥ فلم يلبث في السنين الأخيرة أن صار فاحشاً جلب نظر رجال الحكومات والاقتصاديين وأحدث في جميع الأمم الصناعية قلقاً بين العملة على حين أن غلاء النقود أحدث اضطرابات شديدة في مصالح التجار المالية فزادت الأسعار في إنكلترا وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وكندا وربما كان الغلاء في هذه الممالك أكثر مما هو في بريطانيا العظمى وهذا ناشئ من زيادة الرسوم الجمركية على المصنوعات والغلات فالواجب إذاً أن نعرف أسباب هذا الارتفاع في الأسعار. فقد نظر رجال السياسة والتجار والاقتصاديون بما

بدا لهم من ظواهر هذه المسألة فاقنعوا بأن السبب الوحيد هو زيادة محصول الذهب وهذا السبب قد يمكن قبوله لأن الذهب زاد محصوله زيادة هائلة من ذ سنة ١٨٩٠ في مناجم الترنسفال خاصة فصعد المستخرج منه في عشرين سنة من ٥٨٩ . ٠٠٠ . ٠٠٠ إلى ١١٣ . ٠٠٠ . ٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٠ ومع هذا فالواجب أن نلاحظ بأن معظم الذهب لا يتداول نقوداً بل يدخل في الصناعات وقد استغرقت منه في الصين الأخيرة كل من الهند ومصر واليابان وأميركا الجنوبية والمكسيك كمية وافرة.

وقد ادخرت فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة كميات وافرة من الذهب احتياطاً ومع هذا فإن النقود بدل من أن تعدل أسعارها ارتفعت على الرغم من كثرة الذهب فعلاء السعار ينسب إلى نحو طريقة الكريديتو فإن الموارد الاقتصادية في بلد وأراضيها الخاصة وبواحرها ومعاملها وأدواتها ومادتها وأموالها أي مجموعة ثروتها هي أساس الكريديتو التي ينظر إليها أرباب المصارف والماليون لا وفرة الذهب وكثرة محصوله. وانا إذا ألقينا النظر على ماضي أعمال العالم خلال الخمسة عشرة سنة الأخيرة نرى أنه حدث مع التوفر على الاستزادة من محصول الذهب عناية فائقة في المشاريع الاقتصادية النافعة وكثرت أنواعها في البلاد كلها. وأخذت البرازيل والأرجنتين وسائر ممالك أميركا كثيراً من رؤوس الأموال الأوروبية وكان من الثروات الطبيعية في عربي كندا والهبة التي هبت في صناعة الولايات المتحدة ونهضة الصناعة اليابانية وكل ما كان من النهضات على هذا النحو. وقد جاء ذلك في آن واحد مع نحو محصول الذهب. ولا تنسى تأثير الموارد الجديدة في حركة التجارة عامة وكان أول نتيجة لما تم قلة رأس المال في المسائل الداخلية وغلاء أسعار الفائض وهذا هو العامل الأكبر الذي اثر في التجارة ثم أن بعض الحوادث قد قدرت كثيراً من الحاصلات الصناعية في العالم

وقلت عدد العاملين وذلك مثل حرب الترسغال ومنشوريا وما اقتضى لهما من النفقات العسكرية في العالم بأسره. فبواسطة التحيد حيل ملايين من العاملين وبين أعمالهم واشتغل من جهة ثانية ملايين من أرباب الصانع في إعداد العدد الحربية فتج من ذلك غلاء الأسعار. وإذا اعتبرنا سرعة ارتقاء الصناعات الزراعية نشهد أن جزءاً عظيماً من ريع البلاد الغية يصرف في الرفاهية والتبرج ثم أدوات الزينة مما يؤثر في أسعار اغاصيل بوجع عام ثم أن إقراض الأموال للبلاد الأجنبية قد زاد العملة التي تعمل بأيديها في أميركا الشمالية والجنوبية فانتهى بهجرة الناس من أوروبا بكثرة زائدة. ولكن التعديل سيجري بين العرض والطلب ولا مناص من تعديل الأسعار عندما ترتقي الزراعة وموارد المناجم في الأصقاع الجديدة فتكر بذلك الماكل والمواد الأولية التي تزيد عن معدل الذهب المضروب نقوداً تتداوله الأيدي.

#### السود والأميون في أميركا

أثبت الإحصاء الأخير في الولايات المتحدة مسألة من أهم ما عرف في أمر الزنوج وارتقائهم في التربية فإن زنوج الجنوب لم يصلوا في دور من أدوار تاريخهم إلى مثل درجتهم اليوم في القراء والكتابة فزاد عدد المحلّين منهم في العشر سنين الأخيرة زيادة كلية. لما قام إبراهيم لنكلن وحرر العبيد منذ ٤٩ سنة كان عدد غير الأميين في الزنوج ٣ أو ٤ في المئة فأصبح عدد القارئ والكتّابين اليوم ٧٠ في المئة وكان عدد الأميين من الزنوج سنة ١٩٠٠ ٤٤ في المئة فأصبح اليوم ٣٠ وهذا الارتقاء يريد كثيراً عن تقدم البيض في أميركا لأن معدل قلة الأميين في البيض ٦ و ١ في المئة في حين كان في الزنوج ١٤ في المئة.

وقد كان معدل المحلّين من الزنوج في الولايات المتحدة التي لا يلقون فيها مقاومة أقل من معدلهم في الولايات التي يصادفون فيها أنواع التسهيلات فاستدل الباحثون

بأن الضغط على الزنجي يعلمه وحرمانه من التمدين هو من أعظم الدواعي لإقباله عليه وقد رأوا فروقاً عظيمة في نفقات مدارس الزنوج ومدارس البيض وأجور الأساتذة وعددهم والتعليم الذي يرغب فيه الزنوج هو الابتدائي أما الثانوي فقليل من يقبل علي منهم، وعلى قلة العناية في مدارس الزنوج في القرى من حيث النظافة والصحة فإن قسماً كبيراً منهم يرغب في إتقان الزراعة والصناع اليدوية وفي الطبخ والحياطة وقد جعلوا التعليم عندهم من الدين على نحو ما ينظر إليه عند الإسرائيليين فترى الكنية والمدرسة في كل مكان جنباً إلى جنب وفيها يتعلم الزنجي ويرتقي وهم أنفسهم يذلون لتعليم أولادهم الأموال الطائلة وقد أنفقوا في هذا السيل منذ وقع تحريرهم ٣٠ مليار دولار، ولذا أصبح في الغرب عدد الاجتماعيين والاقتصاديين لا يقولون بأن للجنس تأثيراً في المرء بل أن للتربية المقام الأول وإذا أريد الانتفاع بالزنجي حقيقة فمن اللازم تربيته والقيام بما ينتم له حاجياته في الحياة.

#### حالة العثمانية الاقتصادية

كتب أحد مراسلي الصحف في العاصمة العثمانية مقالة شرح فيها مركز العثمانية الاقتصادية مستنداً على أحدث التقاويم قال:

السكان والمساحة: إن مجموع مساحة العثمانية مليون و ١٥٠ ألف ميل مربع منها ٦٥ ألفاً مساحة العثمانية في أوروبا و ٦٨٠ ألفاً مساحة العثمانية في آسيا و ٤٠٥ آلاف مساحة العثمانية في أفريقية أما عدد سكانها فيبلغ في بعض التقاويم ٣٠ مليوناً وفي غيرها ولعله الأصح ٢٥ مليوناً يتوزعون هكذا نحو ٦ ملايين في أوروبا و ١٧ مليوناً في آسيا ومليون ونصف في أفريقية.

الأراضي الزراعية. أما الأراضي المزروعة من هذه البلاد الواسعة فبلغت (حسب التقويم الرسمي المطبوع سنة ١٩٠٨) ٥٣٤٤ ميلاً مربعاً في أوروبا أي أكثر قليلاً من

٨ في المئة من مجموع مساحة العثمانية في أوروبا وإليك بيان ما في كل ولاية منها  
بالأميال المربعة.  
أدرنة ١٦٩٠  
قوصوة ١٣٤٧  
الآستانة ٠٠١٤  
سلانيك ٩٥٩  
يانبا ٠٣٩٩  
مناستر ٠٨٠٣  
شتلجة ١٣٢  
جناحه ٠١٣٢  
والمجموع ٥٣٤٤

والقسم الكبر من هذه الأراضي مختص بزراعة الحبوب وهو يبلغ ٤٧٠٥ أميال مربعة  
أي ٨٨ من المئة من المجموع.

أما مساحة الأراضي الزراعية في الأملاك العثمانية في آسيا فتبلغ ٢٧٠٢٧ ميلاً مربعاً  
أي ٤ في المئة من مجموع مساحتها و ٨٥ في المئة من هذه الأراضي الزراعية مختص  
بزراعة الحبوب ومساحة الأراضي الزراعية في عثمانية أفريقية ٦٩٠ ميلاً مربعاً فقط  
أي نحو سلس في المئة من مجموع مساحتها و ٩٨ في المئة منها لزراعة الحبوب.

الصادرات والواردات. اعتمد كاتب هذه المقالة في بيان صادرات الدولة ووارداها  
على تقرير حديث أصدرته الحكومة في بيان مركز الدولة العثمانية التجاري حتى ٣١  
آذار سنة ١٩١١ فبلغ فيه مجموع الواردات التي يؤخذ منها رسوم كمركية ٣٥.  
٥٠٩ ليرات والواردات التي لا يؤخذ عنها رسوم (كالتى تختص بالسفراء

والقناصل والمعاهد الدينية والعلمية والأدوات الزراعية الحديثة وغيرها)  
 ٢١٥.٦٤٨ ليرة وبلغت واردات التبناك والدخان ١١٤٧٥٧ ليرة.  
 أما الصادرات من العثمانية من البضائع ذات الرسوم فبلغت ٩.٤١٤.٠٦٨ ليرة  
 ومن البضائع التي لا رسوم عليها ١٢٥٤٩٦ ليرة ومن الخمر والملح المسلمة لإدارة  
 الديون العمومية ١٦٧٧٤٨ ليرة ومن الدخان السلم لشركة حصر الدخان  
 ٢٧٦٦٨٧٦ ليرة ومجموع الصادرات كلها ٢٢٤٧٤١٨٨ ليرة.  
 وفي الجدول الآتي تفصيل هذه الصادرات والواردات ذات الرسوم حسب المراكز  
 الكمرية الرئيسة.

#### صادرات واردة المراكز الكمرية

٢٢٨٦٨٩.٢٢٨٦٨٩ الآستانة وملحقاته

٤٦٢٧٣٤٥.١٤٥٣٨٥٣٠ سالنيك

١٩٣٢٣.٠٩٦٦٢٩١٩٣٢٣.٠٩ دده آعاج

٠.٠٨٢٣٢٦٧.٠٠٥٨٥٦٠ بروزة

٤٧٢١٨٤١.٦١١٨٤٤٨٠ إزمير

١٤٥٥١٤.١٣٩٥٨٧٣١ الإسكندرونة

٤٩٦١٦.٠٣.١٨٧٦٥٦٦ بيروت

١٩٤٦٥٢٧.٠٩٣.٩٣٦٠ بغداد

٠.٢٢٢٧١٨٥.١٦١.٠٤٣٤٠ طرابزون

٠.٥٨٧٤٨٠.٣٧٣٩٩٩٠ طرابلس الغرب

٠.٤٨٢٥٦٦.١٣٠.١٥٨٠٠٠ الحديدية

٠.٠٦٦٦٢٨٢.٠٠٤٢٩.١٠٠ جدة

١٩٤٦٤٠٦٨٣٠٥ . ١٩٤٦٤٠٦٨٣٠٥ مجموع

السكك الحديدية: وهذا بيان السكك الحديدية الممتدة في أنحاء الدولة في أوروبا وآسيا.

(١) في أوروبا كيلومتر

الآستانة - مصطفى باشا ٣٥٩

أدرنة - دده اغاج ١٤٩

بابا إسكي - قرق كليسا ٠٤٥

سالانيك - أسكوب ٢٤٣ . ٠٩٠

أسكوب - مترويجة ١١٩ . ٠٨٠٠

= زيفتسه ٠٨٥ . ١٠٩

= الآستانة ٠٥١٠ . ٥٨٩

المجموع في أوروبا ١٧٣٠ . ٤٥٤

(في آسيا)

حيدر باشا - أزميد ٠٠٩ . ١٥٠

أزميد - أنقرة ٤٨٥ . ٥٦١

إسكي شهر - قونية ٤٤٥ . ٤٤٣

قونية - أركلي بورغدو ٢٠٠

بورغدو وحلب (تحت البناء) ٨٠٠

فرعان صغيران ٠١٤

أزمير - قصبه وتديداتما ١٦٩

مغيسيا - صوما ٠٩٢

الأشهر أفيون قره حصار ٣٥٢ . ٦١٦

صوما - باندرما (تحت البناء) ١٩٠

أزمير - آيدى وعديداتها ٥٣٣.٣٠٣

بيروت - دمشق ١٤٩.٢٠٤

دمشق - حوران ١٠٠

رباق - حلب ٣٣١

حمص - طرابلس ١٠٤

مرسين طرسوس أطنه ٠٦٧

يافا القدس وعديداتها ٨٧

مودانية بروسة ٠٤٢

دمشق - المدينة ١٠٣٢

= حيفا ١٦٣

المجموع في آسيا ٥٦٥٨.٨٨٧

### الأموال الأجنبية في الممالك العثمانية

نشرت مجلة الشرق الأدنى بياناً للأموال الأجنبية المستعملة في بلاد الدولة العثمانية يظهر منه أن هذه الأموال تبلغ نحو مائة مليون جنيه أكثرها للفرنسيين والألمانيين والإنكليز كما ترى في الجداول التالية.

### القسم الأول سكك الحديد

للإنكليز منها السكة بين إزمير وآيدى ورأس مالها ٤٧٤٧٧٧٤٥٨٧٧٧ جنيهها

للألمانية الأناضول == ١١٨٠٠٠٠٠٠ جنيه

== بغداد == ٧٠٨٠٠٠٠٠

== سالانيك مانستر == ٣٢٠٠٠٠٠٠

==مرسين طرسوس آيدين== ٤١٥٥٠٠ =

والجموع ٢٢٤٩٥٥٠٠

للفرنسيين سكة بافا والقدس ٩٦٠٠٠

==مودانيا بورسة ١٥٣٠٠٠==

==سلانيك والقسطنطينية ٦٨٠٠٠٠٠==

==إزمير وقصة ٥٧٠٢٤٠٠==

٩٢٨٩٣٤٠

للنمسيين سكة الحديد الشرقية ٢٠٠٠٠٠٠٠

بنك سكة الحديد الشرقية ٣٥٠٠٠٠٠٠

سندات سكة الحديد الشرقية وذات النصيب ١٥٦٣٢٥٤٠

والجموع الكلي ٦٧٥٥٥١٢٧

القسم الثاني سكة الترامواي وما أشبهها.

شركة سكة الترامواي في الآستانة ٦١٨١٨٠

= الترامواي الكهربائي في سلانيك ٢٤٠٠٠٠٠ =

= ترامواي دمشق والنور الكهربائي ٢٤٠٠٠٠٠ =

==بيروت== ٣٣٦٠٠٠٠

==إزمير== ٢٢٧٢٠

شركة سكة النفق التويل من غلطة إلى بك أوغلي ٢٥٠٠٠٠٠

١٧٣٤١٧٢

القسم الثالث شركات البواخر.

شركة البواخر الخيرية ١٨١٨١٨

= الرفاصاتورؤساء المينا ٠٤٠٠٠٠

= بواخر قرن الذهب ٠٩٠٩٠٩

= بواخر إزمير ٠٤٥٤٥٤

١٧١٨٥٣

القسم الرابع المرافق والأرصفة.

شركة رصيف الآستانة ١٦٥٣٠٠٠

= مرفأ بيروت ٠٥٤٠٠٠٠

= رصيف إزمير ٠٤٤٠٠٠٠

= مرفأ سلانك ٠٥٢٠٠٠٠

= رصيف سافز ٠٢٥٠٠٠٠

= مرفأ حيدر باشا ٠٦٤٠٠٠٠

٤٠٢٥٠٠٠

القسم الخامس شركات الماء والغاز والكهربائية.

شركة مياه الآستانة (تركوس) ٢٨٠٠٠٠٠

== بيروت ٣٦٠٠٠٠٠

== إزمير ٢٧٠٠٠٠٠

== إسكدار وقاضي كوي ٠٦٧١٨٠

== سلانك ٣٨٠٠٠٠٠

== غاز الآستانة ٢٣٠٠٠٠٠

== إسكدار ١٦٨٨٦٠

== بيروت ٢٥٨٠٠٠٠

==إزمير ١٢٥٠٠٠

= الكهربية بسلايك وإزمير ١٠٠٠٠٠٠

٢٢٤٠٠٤٠

## القسم السادس المصارف.

المصرف السلطاني العثماني ١٠٠٠٠٠٠٠٠

المصرف العثماني الأهلي ١٠٠٠٠٠٠٠

مصرف سلايك ٨٠٠٠٠٠٠

المصرف الألماني الشرقي ١٦٠٠٠٠٠٠

مصرف فلسطين الألماني ٢٥٠٠٠٠٠٠

مصرف العثمانية التجاري الصناعي ٥٠٠٠٠٠٠٠

الشركة التجارية الشرقية ١٢٠٠٠٠٠٠

مصرف مدلى ٣١٨١٨٠

شركة بنك الأنجلو لفتين ١٠٠٠٠٠٠٠

شركة الأنجلو فلسطين ١٠٠٠٠٠٠٠

١٤٧٨٨١٨٠

## القسم السابع شركات المعادن

شركة بالياقرايين المعدنية ١٦٤٠٠٠٠

= كصندر المعدنية ١٨٠٠٠٠٠٠

= هرقلية للفحم الحجري ١٢٥٩٧٢

= قراسون للتعدين ٢٠٠٠٠٠٠٠

= سلنتريا ٣٢٠٠٠٠٠٠

= البورقي ٢٧٠٠٠٠

٢١٨٥٧٢٠

القسم الثامن شركات التبغ والتقطير.

شركة الرجعي ١٦٠٠٠٠٠

= التباك ٧٠٠٠٠٠

= التبغ الشرقي الجارية ٢٥٠٠٠٠٠

= سلاتيك التجارية ٢٠٠٠٠٠٠

= بومشي للتقطير ١٦٠٠٠٠٠

٢٩١٠٠٠٠

القسم التاسع

شركة التأمين الغثمانية ٤٦٠٠٠٠٠

شركات أخرى صناعية وتجارية الخ ٢٨٧٠٠٠٠

وبناء على ذلك يكون مجموع هذه الأموال كلها ٩٩٠٨٦٤٢٠ جنيهاً وهناك خلاصتها.

القسم الأول سكك الحديد رأس مالها ٣٧٥٠٥١٢٧٧ جنيهاً إنكليزياً

= الثاني الترامواي والامتيبوس ١٧٣٤١٧٢ =

= الثالث شركات الملاحه ٣٥٨١٨١ =

= الرابع شركات المرافئ والأرصفة ٤٠٢٥٠٠٠ =

= الخامس شركات الغاز والماء والكهربائية ٢٢٤٠٠٤٠ =

= السادس المصارف ١٤٧٨٨١٨٠ =

= السابع شركات التعدين ٢١٨٥٧٢٠ =

= الثامن شركات الدخان والامستقطار ٢٩١٠٠٠٠ =

= التاسع شركات التأمين ٤٦٠٠٠٠ =

= شركات مختلفة ٢٨٧٠٠٠٠ =

وليس للإنكليز في هذه الشركات كلها إلا ١٠٥١٥٤٩٧ ليرة أي أقل من عشرين مليون ليرة والباقي للفرنسيين والألمانيين والنمساويين.

### أندية العراق

#### 1 نظرة في هضة العراقيين الحديثة.

عصور خلت، وأدوار مضت على هذا القطر النكد الحظ، وهو يتقلب على الجمر من شدة ما أصابه في الأزمنة الأخيرة من الصدمات ونزل به من الكوارث والبلايا، وناله من المصائب والرزايا، بعد أن تقلص ظل الخلافة العباسية، فانهارت دعائم تلك البليات الشامخة، واندركت تلك الصروح الشامخة، وتزلزلت أركان ذلك العرض الفخم، وانقلب بصاحبه إلى الحضيض الأسفل، فعدت البلاد تندب رجالها، والعروش أصحابها، والمدارس طلابها، حتى خلت الديار من كل معهد علمي، وأفقرت الربوع من كل أثر صناعي، ولولا أن تواريخ تجربنا بتدنيهم البائدة، وآثارها فرها كل يوم بأعيننا تنطق بعظمتهم، وضخامة ملكهم، وخطورة حصارهم، فتذكرنا بعزنا الدابر، ومجدنا العابر، لانقطع حبل الأمل من كل فرض، وبات الباحثون يجزمون بأن استرجاع ذلك المجد الأثيل، ضرب من الأمل والغرور.

وبعد فإن العراق لم يقصر في مجارة الأمم الحية التي أخذت تحارب الجهل بما في وسعها، وتندفع اندفاعاً عظيماً إلى الوصول إلى الدرجة المطلوبة من المدنية والعمران، لو لم يحل بينه وبين ما يتمناه استبداد المستبدين، وظلم الظالمين الذين اخذوا على عاتقهم محاربة الأمة وبخسها حقها، واحتجان مرافقها، ووضع العقبات الكژود في

طريقها وسيرها نحو العمران والرفي ولاسيما في العراق من الرجال العظام من شهدت بفضلهم، وغرارة عليهم كبار الأمم.

## 2 آثار النهضة وبنائها.

في العراق اليوم نهضة أدبية اجتماعية تبشرنا بمقبل زاهر، فقد ثبت لدى العراقيين أنه قد جاء اليوم الذي تظهر فيه مقدرة الأمم، وحياة الشعوب والوقت الذي يجب أن يند فيه أولو الغايات من كل ملة غاياتهم، ويتزع في الأولياء إلى إينار المصلحة العامة، ويتحرك فيه الجامدون ليعلم إنهم أحياء، والحياة اليوم مضمونة بالاجتماع والاجتماع إنما يتم بالتعاقد على جلب الخير، ودفع الضرر، وما يستدل على وجود تلك النهضة اندفاع الجماعات من الطبقة المنورة من كل ملة ونحلة إلى تأسيس أندية أدبية، وتآليف جمعيات علمية، تضم شائهم، وتجمع متفرقيهم، وتقرب بعضهم من بعض، وتبث المبادئ القويمة، والتربية الصحيحة بين الناشئة الحديثة بأن تجرد الأمة منها سيوفاً صقيلة تقارع بها أعداءها وتفتخر بها إذا فآخرت كل أمة بناشتها، ويرجع تاريخ هذه النهضة الأدبية، والعلمية معاً إلى أوائل الدستور وما نحن ذاكرون ما في بغداد وما يجاورها من المواطن والربوع من أندية العلم والسياسة شارحين للقراء ما يهضمهم من تاريخ تأسيسها وعدد أعضائها، ومكانتها بين القوم وما ظهر لها من الآثار.

## 3 نادي الاتحاد والترقي.

ليس من يجهل تاريخ هذه الجمعية التي حارب رجالها الحقيقيون سلطة عبد الحميد فصبوا على الضيم، وعرضوا بنفوسهم للهلاك وأملاكهم وثروتهم للنهب والسلب ففارقوا أوطانهم على أكتفتهم سماً، وجمعهم أرضها هرباً من سلطان المستبدن ووطاة سلطته عليهم، ومع ما كانوا عليه في ديار العربية من قلة الأنصار وضيئ أيدهم لم يأسوا من تخليص هذه الأمة من تلك اللطة الجائرة، ولم يلبثوا ردحاً من

الزمن إلا واستمالوا عظام رجال الدولة إلى تأييد مبادئهم ونشر أفكارهم. وقد عظم أمرهم جلاله وازداد شأنهم خطورة بدخول كثير من الضباط وقادة الجيش في حزبهم، فتوصلوا بهؤلاء الرجال إلى استمالة الجيش كله وتنفيذ مقرراتهم، ولما تم الأمر لهم أعلنوا الدستور في ١٠ تموز سنة ١٩٠٨ في مناسرة غير ملتفتين إلى معارضة عبد الحميد ورجاله، عند ذلك استبشرت الأمة وتلقت أفعالهم بارتياح وفرح لا مزيد عليهما فتأصت لهذه الجمعية أندية في كل ولاية ولواء بل في كل قضاء وناحية منذ ذلك التاريخ، وكان عدد أعضاء الاتحاد بادئ الأمر يناهز ألفي سنة كلهم من سادات البلاد وكبارها وعلمائها وأشرفها، ولكن هذا العدد يتناقص رويداً رويداً حتى لم يبق فيها إلا بعض أناس تمسكوا بمبادئهم، ولم يزل النادي مفتحة أبوابه إلا أن الترددين إليه قليلون ولما عاد أمرهم إلى النجاح عاد أغلب الذين كانوا قد تبرأوا منه.

4 نادي الحرية والاتلاف.

كانت قوة المعارضين في السنة الأولى والثانية من إعلان الدستور ضعيفة لا يعبا بها، وذلك لشدة شعف الناس بالدستور، ومكانة ثقتهم برجال الاتحاد، ولما دخلت السنة الثالثة قويت شوكة المعارضين بما انضم إليهم من شبان العرب الأذكياء وقادة أفكارهم، وكان لهم في المجلس ما يناهز ٥٠ نائباً أكثرهم ميرزون في فنون الخطابة، ويتصلعون من علوم الاجتماع وانضم إليهم كثيرون من نواب العناصر غير المسلمة لاشترائك مصالحهم وارتباط مقاصدهم وألا وهو إعطاء العناصر حقوقها فأخذت فكرة المعارضة منذ ذلك الحين تنتشر انتشاراً رافعاً في معظم الأقطار العثمانية وكانت مقصورة على بعض شبان الأمة ممن رضعوا أفوايق العلم وتشربت قلوبهم بالمبادئ الحرة، ولكن ما لبث ذلك زمناً قصيراً إلا وعم سائر الطبقات، وشعرت الأمة بأسرها بضرورة تقوية المعارضين الذين انشأوا حزباً دعوه أولاً باسم الحزب الحر المعتدل ثم

أطلقوا عليه ثانياً اسم حزب الحرية والائتلاف فتأسس لهذا الحزب المعارض نواد عظيمة فرعية في ربوع مختلفة منها نادٍ وأنشئ في البصرة برئاسة مبعوث البصرة ومقدم العرب السيد طالب بك النقيب وفي ألبانيا بعض ولايات الأناضول أقيمت الحفلات وأعلنت المسرات بتأسيس شعب له.

وفي سنة ١٣٢٩ أسس فرع لحزب الحرية والائتلاف في بغداد فتهاقت الأدباء على الانحراط فيه حتى دخله في أيام قلاتل ما يوف على ٣٠٠ نسمة كلهم من أرقى طبقات بغداد علماً وفضلاً.

ومن مبادئ هذا الحزب، منح العناصر حقوقها المغصوبة واعطاء كل ذي حق حقه، وتوسيع مآذونية الولايات أي إعطاؤه اللامركزية فكل ولاية تتصرف بشؤونها وتعمل ما ينهض بها ويجعلها في مصارف البلاد الراقية بدون مراجعة الآستانة وبعبارة أخرى إدارة البلاد على النوع الذي كان عليه بلاد النمسا لتعدد عناصرها واختلاف شعوبها كالبلاد العثمانية، ومنها: تعيين ولاة عارفين لغات أهل البلاد وإن لم يكونوا من أبنائها وجعل التدريس باللغة المحلية وغير ذلك من المبادئ الحقيقية وغير ذلك من المبادئ النيفة، مالم عمل بما منذ إعلان الدستور لكانت أوطاننا في مقدمة الأوطان. هذا ما لنا من الأندية السياسة أي اثنان فقط والآن نتقل إلى تعديد الأندية العلمية فنقول:

### ١ النادي الوطني العلمي.

وهو نادٍ علمي دأبه وراء ما ينهض بالعرب ويحكم عرى رابطتهم، ويقوي جامعتهم، ويضم شتاقهم ويجمع متفرقهم أسسه سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م جماعة من أرقى طبقات الأمة الإسلامية في العراق، وأكثرهم من درسوا في المعاهد العلمية الكبرى وجابوا البلاد العربية في الطول والعرض، ووقفوا على أسرار تفهقها، وقد سنوا لهم

نظاماً طبع سنة ١٣٣٠ في مطبعة الآداب ودنوا فيه مقاصدهم وغاياتهم واليك ما جاء في المادة الثانية من ذلك النظام بنصه:

مقاصد هذا النادي نشر العلم في أنحاء العراق بأحداث مكاتب وطنية مختلفة، وبث التربية القويعة بين الناشئة، ومعاونة المحتاجين على التحصيل وتفسير الطلاب المعوزين إلى دار السعادة وأوروبا وتعيين أساتذة لتدريس اللغات الست: العربية والتركية والفارسية والإفرنسية والإنكليزية والألمانية وتعيين طبيب خاص لمعاينة المخاويج وإعطاؤهم الأدوية اللازمة مجاناً وتعيين واعظ من أجل العلماء لوعظ العامة وتعليمهم أحكام الدستور التي لا حياة لنا من بدونها ولفت أنظار الناشئة إلى المذكرات العلمية والمسامرات والمحاضرات الأدبية وتعليمهم فن الخطابة بالطرق الحديثة وحفظ أوقات الشبان من الألعاب الملهية وتوفير معلوماتهم وتوسيع مداركهم وتأليف لجنة حقوقية تدافع عن دعاوي البائسين المنقطعين وتأسيس جمعية لتعريب الكتب من جميع اللغات الحية، وإصدار مجلة علمية، تاريخية، أدبية، إلى آخر ما هنالك من المطالب السامية.

وكان هذا النادي في أوائل نشأته مقصوراً على بعض أشياء تافهة كغرف القراءة وغيرها، ولما طرق أسماع السيد طالب بك النقيب خبر حاجة النادي إلى معاونته، قام وأمدهم بأموال وفيرة ساعدتهم على إبراز بعض مقرراتهم إلى حين الوجود، فافتحوا مكتبة شائقة حوت نفائس الكتب العصرية، ومدرسة ليلية يدرس فيها مبادئ اللغة العربية والتركية والفرنساوية والإنكليزية، وهم الآن في سعي متواصل لإنشاء مدرسة باسم مدرسة المستنصرية إحياء لاسم ذلك المعهد العلمي الخطير الذي كان له القدر المعلي في تمدن العرب الفخيم في القرون الخالية، وتلقى فيه الخطب العلمية والمحاضرات الأدبية.

هو ناد علمي أسسه شبان من منسوري الأفكار سنة ١٩١٠م، وقد أمدنا أحدهم بما يجري فيه ويراد من تأسيسه لجهنا ما هناك بالمطالب والمساعي قال:  
 قصدنا من تأسيسه فك القيود والأغلال من أعناق أبناء طوائفنا التي طوقنا بها الإكليروس الذين احتسبوا مرافقنا وعشوا بأوقافها. وقد لاقى أعضاء نادينا في سيل ذلك صعوبات جمة وعقبات كادت تحول دون إتمام مقاصدنا وتحقيق أمانينا لولا همة أعضائنا الكبيرة ذلك كل صعب واجتازت كل ما وضع في طريقهم من العقبات ونحن الآن في نحس شديد وسعي متواصل لإبرار أمانينا إلى عالم الوجود وقد ظهر من آثار غرفة قراءة ومكتبة مشحونة بنفائس الكتب قديمها وحديثها، وبأخبار لو عضدنا في مشاريعنا الخطيرة كبر القوم والمثرون منهم بمساعدتهم إيانا في الماديات والمعنويات، ويأخذون بأيدي القائمين بشؤونه فيحصلون في المستقبل القريب على فوائد جمة لم نخطر على فكر ولم نمر بها.

اهـ.

### 3 الاتحاد العثماني.

جمعية إسرائيلية صهيونية مقصد أعضائها الوحيد شراء المزارع لسكنى الصهيونيين فيها وتخذها مستعمرات كما هي الحال في سورية تأسست هذه الجمعية سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م وكان لهذه الجمعية جريدة تدعى التفكير صدر منها ثلاثة أعداد باللغتين العربية والتركية وكان محرر العربية فيها أحد شبان المسلمين وكان يظن في هذه الجمعية خيراً، حتى إذا أزيل الستار عن أعمالها ورأى منها ما يحقق أقوال الناقلين عليها اعتزل تحريرها فاحتجت الجريدة لذلك عن الصدور، حتى عن معظم شبان الإسرائيليين الصادقين بوطنيتهم أبوا الدخول فيها وعرفلوا مساعيها، ومن آثار هذه الجمعية أنها افتتحت مدرسة ليلية تدرس فيها اللغات الأجنبية، أما اليوم فهي

مقصورة على ٢٠ عضواً من الإسرائيليين الذين يودون استعمار البلاد ياخوانهم  
واستلاب أملاك وطنيتهم.

#### 4 نادي الترقى الجعفري العثماني.

وهو ناد علمي أدبي أسسه كبار الجعفرية وأعاضهم في بغداد سنة ١٣٢٥هـ  
و١٩٠٨م. وذلك لما رأوا ناشتهم الحديثة معرضة لسباح مفترسة من الجهل أنشاوا  
هذا النادي الفخم لإصلاح شؤون فرقهم ومسابقة غيرها من الفرق في الحضارة  
والعلوم والآداب وما بسر له أنه نجح نجاحاً باهراً وذلك بما بذله أرباب الغيرة من  
الأموال الوفيرة. ومن آثاره أنه افتتح مدرسة كانت قبل أربع سنوات ابتدائية يدرس  
فيها أكثر العلوم الحديثة باللغة العربية، وأما اليوم فقد أصبحت بفضل النابغين من  
الجعفرين إعدادية وفيها من التلامذة ما يناهز ٤٠٠ طالب كلهم من أبناء العرب،  
والأمل وطيد بأن سيكون لها شأن عظيم فتسترد العربية على يدها مجدداً القديم،  
والنادي هو اليوم عبارة عن لجنة إدارية تدير شؤون المدرسة وتراقب أعمالها أساتذتها.  
5 المحفل الكاثوليكي.

هو أول محفل وطني أسس في بغداد وكان إنشاؤه سنة ١٣٠٦هـ و١٨٨٩م وكان  
مقصوراً على إلقاء الخطب العلمية والآدبية والاجتماعية وكان أعضاؤه من سراق  
الكاثوليك في بغداد.

وكان يصدر تقوينا يدون فيه خلاصة أعماله وعدد أعضائه وأسماء المتربعين له وذكر  
عناوين الخطب وموضوعات المحاضرات التي ألقى فيها وقد صدر منه ثلاثة أعداد  
لثلاث سنوات وهي سنة ١٨٨٩ و١٨٩٠ و١٨٩١ هذا عدا ما أحواد من الفوائد  
الجمعة والنبد الجغرافية والتاريخية المفيدة، ولا يزال هذا المحفل حياً له اليد الطولى في

فخضة شبان النصارى الحديثة وعدد أعضائه يناهزون ٦٠ شاباً كلهم من أفاضل الطائفة الكاثوليكية وأذكارهم وأطلعهم على اللغات الإفرنجية والوطنية.  
٦ النادي البغدادي.

تأسس هذا النادي سنة ١٩١٢ ومقاصده على ما جاء في الفصل الأول من أسماء برامج في سنة تأسيسه: السعي وراء تنظيم المجتمع العراقي وتعميد استماع سماع المسامرات وحضور المباحثات الأدبية والتجارية والتمهات الصحية، وأعضاؤه كلهم من شبان الإسرائيليين ممن أخذوا العلم عن أساتذة أجنبية في بغداد هذا إذا لم يكونوا قد ربوا في أحضان علماء العرب ويشترط على من يدخل هذا النادي ويكون عضواً فيه أن يدفع رسماً قدره ست ليرات عثمانية سلفاً في السنة الأولى، وفيما بعدها يدفعها أربعة أقساط، وهم اجتماعات خاصة بالأعضاء فلا يشرف على أعمالهم ومقرراتهم أحد.

### ٧ خلاصة البحث.

ترى مما تقدم ذكره أن عدد أندية العلم والسياسة في بغداد ستة، منها اثنان سياسيان وهما النادي للاتحادي والنادي الاتحادي، ومئة اندية علمية اثنان منها للمسلمين وهما النادي العلمي الوطني ونادي الترقى الجعفري العثماني، واثنان مسيحيان وهما اتحاد الشبية واخف الكاثوليكي، واثنان إسرائيليان وهما الاتحاد العثماني والنادي البغدادي، كل اكل ذلك كان في مدة أربع سنوات مع ما لاقته في خلالها من العقبات على أن هذا العدد وإن يكن قليلاً بالنسبة إلى عظمة بغداد وضخامتها فإنه سترأى إلى أضعافه بمئة الناشئة الحديثة التي نبذت التقاليد القديمة ظهرياً واسعدت للأيام وأموالها، ولا ريب فإن ثبية كالثبية البغدادية يجب عليها أن يظهر على بعدها فوق ما يتصور مادام ذلك اندم العربي مجري في عروقها.

بغداد // إبراهيم حلمي.

أقدم اثر

جاء في الإحيثان غازيتما تعريبه: أرسل الأستاذ ريزنر من علماء الآثار المصرية إلى مديري متحف الآثار السامية في هارفرد ومتحف الفنون الجميلة في بوسط بالولايات المتحدة الأميركية نتيجة أبحاثه في تقيباته في الآثار المصرية العتيقة عند أبي الهول إذ قد اكتشف عدة اكتشافات مهمة ينتظر أن تساعد كثيراً على كشف أسرار المسائل التي طمستها مرور العصور والأجيال.

فقد عثر الأستاذ (ريزنر) على معبد بجوار تمثال أبي الهول كان شيده قدماء المصريين لأجل عبادة الشمس وهو أقدم من كل الأهرامات إذ يرجع تاريخه إلى ما قبل ميلاد المسيح بـ ٦٠٠٠ عام فهو إذاً أعظم الآثار المصرية قدماً في التاريخ المصري بلا جدال. ومينا أو مينيس كما يلفظون اسمه في بعض الأحيان هو أول ملك مصري اكتشف علماء العصر الحالي بواسطة تخاله المعلومات التاريخية الخاصة بالتاريخ المصري القديم وهو الذي اشتهر بادعائه الألوهية في عصره واشتهر أيضاً بأنه الواضع لشكل أبي الهول الحالي وقد وجد قبره في هذا المعبد. ويوجد في هذا نفق تحت الأرض يؤدي إلى كهوف لم يدخل إليها أحد الآن لأن أعمال التقيب والحفر لم يبدأ بها إلا منذ ستة شهور فقط.

إن أبا الهول في مكانه مصنوع حقيقة من صخر طبيعي لكن يوجد بجانبه كهوف ومباني مدينة من ذهب قد وصلت أعمال الحفريات للقاعة الأمامية للمعبد ويبلغ مقدار اتساعها ٦٠ قدماً وطولاً في ١٤ قدماً عرضاً ومتصلة بدهاليز تؤدي إلى معبد الشمس الواقع عند مخالب أبي الهول وهذه الدهاليز بشكل متعرجات متقاطعة وقد وجدوا كميات عظيمة من الرموز وتماثيل الشمس بينها مقدار كبير مصنوع من

الذهب وفي تلك التماثيل أسلاك متصلة بأجراس صغيرة كان يحركها ويدقها الكهنة ليتحصروا بها أرواح الموتى.

وفي داخل أبي الهول وجد أيضاً أهرام صغيرة مع أن أبا الهول مصنوع من زمان طويل قبل بناء الأهرام الكبرى ومن رأي الأستاذ (ريزير) أن شكل الهرام في تلك الأيام كان عبارة عن ساعة شمسية ومن رأيه أيضاً أن أبا الهول كان رب الشمس وأهرام خيوس المعروف الذي هو أكبر الأهرام الحالية وهو عبارة عن آلة توقيت وساعة دقيقة مضبوطة ليس إلا.

ومن رأي هذا الأستاذ أيضاً أن القطر المصري اليوم كان عبارة عن مدينة كبرى عظيمة متسعة الأرجاء وقد اكتشف أطرافها أما ما في داخلها فربما لا يمكن اكتشافه بته. ويرجو الأستاذ (ريزير) أن يكتشف ضمن تلك الآثار الشئنة أسرار الكهنة المصريين الذين كانت أعمالهم السحرية موضع الدهشة والعجب.

وقد أشار الأستاذ إلى ما يجده في عمليات الحفر والتقيب من الصعوبات والمتاعب غير العادية لأن العربان الذين يساعدون في هذا العمل يرفضون قطعياً أن يرقدوا في قاعة المعبد ويقولون أنها تحوي الشياطين والجن فمن يرقد فيها يلقي حتفه.

#### الزراعة

وعبادة الطبيعة في الصين.

لما لا مرية فيه أن الصين واليابان والشرق الأقصى هي البلاد الوحيدة التي تعبد فيها الطبيعة على اختلاف مظاهرها بل هم الشعب الوحيد في تكريم الزراعة وتعظيمها وعلى من أحب الإحاطة بهذا الموضوع أن يقرأ تاريخ الصين ليعلم ما يتجسم أبنائها من المشاق في خدمة تلك الأراضي القاحلة وبعدئذ يعرف مقدار الثروة التي يمكن المزارع أن يجنيها عند الاقتضاء من أرضه ولو كانت مجذبة قاحل ولا مشاحة بأن

المعارف الزراعية متأخرة جداً في الصين وآلات الحرث لا تزال على حالها الأول من الاحتياط بيد أنهم يستعيضون عن جهلهم أحوال الزراعة وتأخر الموارد التي تسهل لهم النجاح بثبات قد لا يوجد له مثل عند باقي الأمم.

وليس في الصين بقعة من الأرض تصلح للزراعة ما لم تعمل فيها أيدي العمال والزرع وهي على اتساعها تعطي كلها موسمين في السنة وليس في الدنيا مملكة أراضيها كالصين ومفصولة بعضها بسياج عن الآخر وحفر صغيرة أو بجدران قليلة الارتفاع والسبب في ذلك أن كل صيني يمتلك أرضاً لذاته وكل منهم يريد أن يخدم الأرض التي ورثها عن آبائه وزرعها أجداده ولهذا فإن كل صيني لا يستأجر عاملاً لزراعة أرضه.

إن ملوك الصين أبناء ماء السماء قد أعاروا منذ القديم اهتمامهم للزراعة والفلاحة حتى أن الكثيرين منهم قد اشتهروا بهذا الأمر اشتهاراً عظيماً ولم يزل الأهالي حتى اليوم يعظمون ذكركم ويقدمونهم.

وفي كل سنة يرأس الإمبراطور حفلة عظيمة يقيمونها في عيد الطبيعة الذي يقع في اليوم الثالث والعشرين من الشهر القمري الثالث حساباً صينياً وهو يوافق أواخر شهر آذار وقد وضع هذا العيد أحد الملوك من سلالة هان الذين حكموا الصين قبل المسيح بألف ومئتي سنة وتقام هذه الحفلة في بكين عاصمة الصين عظامر فخمة.

ويسعد الإمبراطور لهذه الحفلة بصوم ثلاثة أيام متوالية وفي اليوم المعين يذهب إلى هكل الزراعة العظيم المشيد في وسط العاصمة ومن خلفه ما لا يعد من جماهير الأهالي ومن حوله أمراء الأسرة المالكة مرتدين أمي ملابسهم الحربية يتقدمه أربعون شيخاً من كبار المزارعين وأربعون شاباً لابسين ملابس غريبة مصنوعة من القش.

والهيكل مبني وسط سهل فسيح وقد أقيم فيه أربعة مذابح لعبادة السماء والأرض والمشتري وشنون وهو من أقدم ملوك الصينين وأول من علم شعبه منافع الزراعة وأمرهم بتكريمها فيتقدم الإمبراطور نحو المذبح المخصص لعبادة السماء فيركع أمامه ثلاثاً ويضع عليه هدية من الأثمار ثم يدنو من محراث أصفر ذهبي اللون يربط به ثوران يذبحان بعد انتهاء الحفلة ويقدمان ضحية للسماء فيقبض على اخراش بيديه وعلى السوط بيساره ويرسم في الأرض ثمانية خطوط وفي أثناء هذه الحفلة ينشد الكهنة صلاة مختصة باكرام الطبيعة.

ويحرق الشبانون فلاحاً الذين يحضرون هذه الحفلة أثنى الخور في مجامر ثينة ويضعون من الحبوب التي تنتج في الأتلام التي حرثها الإمبراطور ورجال حاشيته وأقرباءاً يتركونها مدة ثلاثة أشهر على المذبح المخصص لعبادة السماء.

وهيكل الزراعة من أغرب بنايات بكين يعلقون على جدرانها أو يضعون على قواعد رخام فيها كل الآلات والأدوات والملابس التي يستعملها كل من اتخذ الفلاحة حرفة له ويضعون في الجهة اليمنى كثيراً من القبعات التي يلبسها الأهالي وأسواطاً متنوعة ومكانس ومجارف وصناديق لحفظ الغلال ومذاري خشبية ذات ثلاث شعب يستعملها المزارعون لتدرية الأرز كل هذه الآلات يصغرونها باللون الأصفر وهو اللون المخصص للإمبراطور فلا يجوز لسواه من الأهالي استعماله.

ويقسمون على قاعدة من الفلز بقرة عظيمة بطنها مقبور يظهر فيها عدة عجول خرافية وهي رمز للحيوان المقدس الذي يطوفون به باحتفال عظيم في بعض المدن الصينية إبان الحصاد. ويطرد الصينيون السن كرهاً عظيماً لأنهم يعتقدون أن البقر خلق لأجل أن ينتج ويشغل لا للانتفاع بذنبه ويضعون إزاء آلات العمل العامة التي تعرض في قاعة خاصة كل أشكال الاختراعات القديمة والحديثة المختصة بالزراعة وناغورة لم

تزل مستعملة في أراضي كان شي كيان الواسعة ودولاباً ليس فيه مسمار ولم تدخله قطعة من الحديد بل مصنوع من الخشب وجرناً حجرياً موضوعاً في طرفه مدقة يحركها رجلان وفي الجهة الأخرى آلتان للحرث والزرع وفي مؤخر هذه العلبة تنتهي بثلاثة أنابيب حيزران تتساقط منها الحبوب ويفرزون محلاً خاصاً محرفة فضية يقدمون لها أعظم الإكرام لأن المحرفة لم تزل الآلة الزراعية التي يفاخر فيها الفلاح الصيني.

### الأموال المنقولة

رفع العالم الاقتصادي ألفريد نايترك إلى اجمع الإحصائي الدولي المجتمع في عاصمة النمسا بحثاً جديداً تناول فيه بحث الأموال المنقولة في العالم. وقد قدر المتداول منها بين الأيدي في آخر سنة ١٩١٢ بقيمة ثمانمائة وخمسين مليار فرنك. وألم بما طرأ في الستين الحيرتين من الاختلالات السياسية والمالية والاقتصادية وبعد أن قدر ما لحق بعض المنقولات اأحدودة الثمن من المحطات الأسعار في الآونة الأخيرة فبلغ الثمانمائة مليار فرنك قال أن الرصيد الصافي لقيمة الأموال المنقولة في آخر سنة ١٩١٢ منها ما يقارب ثلثتة مليار فرنك مبدولة لاستثمار الخطوط الحديدية في العالم أما الأموال المنقولة الخاصة فيقدرها كما يلي:

إنكلترا من ١٤٥ إلى ١٥٠ ملياراً

الولايات المتحدة = ١٣٥ = ١٤٠ =

فرنسا = ١٠٨ = ١١٥ =

ألمانيا = ١٠٠ = ١١٠ =

روسيا = ٣٢ = ٣٥ =

النمسا والمجر = ٢٥ = ٢٦ =

إيطاليا = ١٦ = ١٨ =

اليابان = ١٤ = ١٦ =

وزادت الأموال المنقولة في ألمانيا بين سنتي ١٩٠٨ و ١٩١٢ عشرين إلى خمسة وعشرين ملياراً. وزادت في إنكلترا خمسة عشر ملياراً في حين لم تزد في فرنسا على خمسة إلى عشرة مليارات وفي روسيا على مليارين إلى ثمانية. وفي إيطاليا على ستة مليارات. وفي النمسا وجر على أربعة. نعم إن بعض هذه الأرقام يمكن المناقشة فيه ولكن مهما يكن فإن تبريز ألمانيا في هذا الباب لا ريب فيه على أن معظم الأرباح أُرصدت لتوسيع المشاريع القديمة أو لتأسيس أعمال جديدة. أما التوفيرات فبقيت على حالها والأموال المتداولة كانت قليلة وهذا ما يجعل ألمانيا تحت رحمة أول أزمة تحصل لها.

#### المدارس الفرنسية في الشام

نشرت جريدة الإيكودي باري فصلاً طويلاً عن المدارس الفرنسية في سورية جاء فيه: أن اليسوعيين يديرون مع مدرستهم الكلية ١٤٠ مدرسة يتلقى العلم فيها ١٢٠٠٠ تلميذ والآباء الكوشيون يديرون ١٥٥ مدرسة فيها ٦٣٥٥ تلميذاً واللعازريون يديرون ١٤٩ مدرسة فيها ٧٣٣٨ طالباً. وراهبات اخبة يتعلم في مدارسهن أكثر من ٣٠٠ يتيم و ٥٨٧ يتيمة و ٥٠٩ أولاد صغار خارجيين و ٣٨٦٧ بنتاً داخلي ما عدا مدارسهن في القرى. ومدارس الفرير في بيروت وطرابلس والإسكندرونة فيها ٢٠٠٠ تلميذاً تقريباً. وفي مدارس الفرير ماريست ٩٥٣ تلميذاً ولراهبات الناصرة عشر مدارس منها واحدة داخلية ومجموع تلامذتها ١٣٨٦ ولراهبات العائلة المقدسة سبع مدارس فيها ١٤٠٠ تلميذة ولراهبات الظهور المرسلية ٣٠ مدرسة فيها ٣٧٦٦ تلميذة وهذا كله ما عدا تلاميذ المدرسة العلمانية

في بيروت التي تحتوي على ٢٠٠ تلميذ تقريباً ومدارس الأليانس الإسرائيلية التي يبلغ عدد تلاميذها الأربعة آلاف.

أما عدد المدارس الأخرى الإنكليزية والألمانية والروسية والأميركية في سورية فلا يتجاوز الثلاثمائة مدرسة ومجموع عدد التلامذة فيها لا يزيد عن ٢٣.٠٠٠.

### العمل والأسعار

سعر كيلة الحنطة سعر الليرة العثمانية أجرة العمل الصناعة السنة المحجرية

قروش قروش قروش

١١٦٧٠ ١٢ معلم ١٢٨٧

٦ العامل

٥ العامل

١٢٤٨٠ ١٤ المعلم ١٢٩٥ و ١٢٩٧

٧ العامل

٦ العامل

١٣٠٥٧ ٤٨ المعلم ١٣٣٠

١٢ العامل ١٣٣١

مكدا كانت أجرة العامل وأسعار النقود والغلات منذ أربعة وأربعين عاماً في دمشق وما زالت ترتقي حتى أصبحت كما رأيت بكثرة الذهب واستثمار بعض الأراضي البائرة وازدياد عدد النفوس ومثل ذلك يقال في العراق ومصر.

وهذه الأسعار في قاعدة الشام غير مطردة تزول وتعلو بحسب المواسم وكثرة النقود ولكن أجرة العامل والمهنة تكاد تكون واحدة لقلّة العملة والبنائين والنجارين

وغيرهم من أهل الحرف الذين قد تدعوهم هذه الحالة إلى الهجرة إلى أقطار أخرى ولا سيما أميركا.

### صدور المقتبس

أصيت هذه المجلة في السنة الماضية بعوارض كثيرة -حالت دون إصدارها في مواعيدها على النحو الذي اعتادته في معظم أدوارها فاضطرتنا الأحوال السياسية إلى أن نلجئ بنصر من طريق البرية وعطلت الحكومة المقتبس اليومي عل الصورة التي سبق لها مثلها في سنة ١٣٢٧ والمثل لكلنا الفاجئين ناظم باشا وأبي سورية الأسبق بعينه ومينه فمكثنا أشهر الربيع والصيف في القاهرة أصدرنا خلالها جزئين وبعض الثالث ثم عدنا في الخريف إلى دمشق مضطرين ومطبعة المقتبس قد أكرهنا الرواي على بيعها ليصعب علينا بذلك إصدار المقتبس ثانية فاضطرتنا أولاً إلى الطبع في مطبعة لن تكن في استعداد كاف لطبع المجلة ثم طال بحثنا عن ورق جيد حاضر في السوق فلما تمت المعدات في المجلة تتابعت الأزمات السياسية بانتشار الحرب البلقانية المشؤمة فارتبكت الأحوال الاقتصادية في البلاد حتى انقطعنا مدة عن الطبع مكرومين وما نحن الآن تحت السنة السابعة سنة ١٣٣٠هـ -أواخر سنة ١٣٣١ أي أننا أصدرنا من حيث المجموع أجزاء سنة في سنتين ولذلك لا نعد سنة الحرب التي اهترت بويلاتها أعصاب الحلطة ونال الشام بل مصر حظ وافر من هذا الاضطراب.

وانا لشكر كل من اهتم لصدور المقتبس وأخذوا بيدنا في نشره ونشطوه بتاديتهم وأديابهم أكثر الله من أمثالهم الذين يهتمون للعلم والمعارف كما إنا لتشي الشاء الأطيب على مؤازري المجلة في مصر والشام والعراق وتونس وغيرها ممن لم يعفهم عدم الاطراد في صدورهما عن إرسال أبحاثهم ومقالاتهم لطبع فيها ونعدهم بأننا بدأ منذ أول جزء يصدر في اغرم من السنة الثامنة (١٣٣٢) بنشرها تباعاً بحسب أوقات

ورودها ليعم نفعها قراء العربية ونستريح طبقة الخاصة عذراً على ما بدر من أغلاطنا وأغلاط المطابع فهو لا يخفى على فطنة القراء في الجملة وعذرنا إليهم في عدم العناية ما تقدم خصوصاً وبعض الملازم طبعت بدون أن نصححها بأنفسنا دع التقليل الذي نالنا في مملكة لم تستقر حتى الآن حالتها السياسية على محور معلوم. وصفاء جور السياسة هو الميزان الكبر في سير الأعمال ولاسيما العلمية فإن الفشل الذي نالنا في الروم إيلي وطرابلس وبرقة وجزر الأرخيل قد أصاب شرور شره كل من له علاقة بهذا الوطن العثماني على اختلاف الدرجات.

ونسأله تعالى وهو خير مستول أن يحل سنتنا القادمة سنة راحة وصفاء لتسكن من خدمة الأمة العربية في الفروع التي كتب لنا الخوض في غمارها فيما سلف من الأعوام وفي النية أن نجود في الأبحاث ونعي بالتقاط درر الفوائد جهد المستطیع حتى تكون هذه الصحيفة جمعية علم وأجب تجمع إلى متانة القديم وطلاوة الحديث فلا يسأم من مطالعتها عشاق الأوابد والشوارد وإليه تعالى نبأ من سيات أعمالنا وشرور أنفسنا ونسأله وقايات الزمان وعشرات القلم واللسان والتكب بنا عن تيه الباطل اللجلج إلى جادة الحق الأبلج إنه كريم جواد.

رقم	عنوان	صفحة
٦٥٤	أقدم أثر	
٤٤٦ خ ٦٤٦	عن أكبر محطة	
٢٣٤	الأكبر - فيه	( ١ )
٧٠٣	الثانيا . كلياتها	٧٩٣ الآباء اليسوعيون . مطبوعاتهم
٤٣٢	الانتداب العلية	١٤٨ الابطال ( كتاب )
٤٤٦ خ ٦٤٦	عن الانكحول والاية	٣٣٨ آيات العادات
٨٢٨	الامة والتعليم	٨٧٦ الاتحاد الاوربي
٤٤٣ خ ٦٤٣	عن الامم والجماعات	٧٩٧ آثار ذوات السوار ( كتاب )
٩٥٧	الأموال المنقولة	٩٣٥ اختيار وافكار ( كتاب )
٢٣٩	الأصومة والغزوة	٥٥٠ الاخبار الطويل ( كتاب )
٢٤٠	الاميات . مدارسهن	٧٨٥ آداب العرب ( كتاب )
٥٦١	اميركا . اكتشافتها	٤٤٥ الادب الصغير ( كتاب )
٨٦٤	• نجاحها	٧٩٥ الاربعون حديثا المسلمة ( رسالة )
٩٤٠	• السود والاميون فيها	٢٩٧ اريج الزهر . « كتاب »
٥٥١	• الكاثوليك فيها	٨٧٤ الازهار الميتة . احياؤها
٣١٠	الاميركيون . هباتهم	٦٢ الاستثمار . جثونه
٨٧٥	الانسجة الجديدة	٤٨٤ اسوان . المستعمرة اليهودية
٣٩١	انكثرا . حماية الاطفال فيها	فيها
٣٩١	الانكليز . اولادهم	٩٣١ الاثارات الالهية « كتاب »
٣٠٩	اوربا الشيخ فيها	١١١ الاشيام او الاستيام
٨٧٩	• الاعلانات فيها	٨٧٧ الاشجار التاريخية
٢٣٨	• الاكحول فيها	٣٩٩ الاصلاح المدرسي
٣٨٨	• الشكرات فيها	٢٢٧ الاعتبار « كتاب »
٧٢٨	• نحن واباها	٤٨٢ الاعلام يمثلك الكلام ( كتاب )
٣١٤	اوستراليا . المدارس الابتدائية فيها	٨٧٩ الاعلانات . فيها
٧٤	الاولاد المنهجون	٨٥٦ الافرنجيج والنزهات
		٢٣٨ الرقيقة . الاكحول فيها

٧٥	اولادهم واولادنا	١٥٦	تاريخها
٤٨١	ابالك « كتاب »	٨٩٣	نبض . جرائمه
٦٩٢	ابطاليا والاسلام	( )	
	( ب )	٢٣٢	تاريخ الآداب العربية « كتاب »
١٥٦	بابل . تاريخها	٧٧٨	التاريخ الاسلامي
٨٥٨	• • • حياتها	٩٣٦	تاريخ بعلبك « كتاب »
٥٥٧	• • • شرائعها	٧٩٢	الحرب العثمانية الايطالية
٤٨٧	البحار . اعماقها	١٨٢ و ٢٤١ و ٤٩٧ و ٥٦٩	تاريخ حضارة
٥٤٥	بداية المجتهد « كتاب »	٧٨٥	تاريخ مدينة زحلة « كتاب »
٧٩٤	البرامكة « كتاب »	٧٧٨	التاريخ الكبير
٧٩١	بساط العتيق « كتاب »	٧٨٣	التيان في تخطيط البلدان
٧٦	البشر اقتصادم	« كتاب »	
٩٣٧	والهجرة	٧٨٤	التجارة المصرية « كتاب »
٢٩٨	البصائر « مجلة »	٩٣٣	التصفة الظرفية « كتاب »
٢٣٧	البلبل	٥٦٣	تدبير المنزل . مدارس
٧٩٥	بغية الراغبين « كتاب »	٨١١	تذكرة ابن العميد
٥٦٨	البعق . ازاليتها	٨٨١	التربية الاجتماعية
٤٣٨ خ ٦٣٨	ص البقول الشافية	٥٥٥	التعليم الديني الياباني
٤٣٦ خ ٦٣٦	ص بلاغة الانكليز	٧١ و ٧٩٤	تقوم البشر « كتاب »
« كتاب »		٢٣٨	التطريف الاسلامي
٤٣٦ خ ٦٣٦	ص بلوغ المرام « كتاب »	٥٤٩	تزييه القرآن عن الطاعن
٤٨٥	البوناس . سماده	« كتاب »	
٢٢٠	بودابست . الحز البلدي فيها	٢٣٩	تونس . ما بها
٥٦٣	البولونيون . المنتهم	( ث )	
٢٤٠	بورنور بكو . التعليم فيها	٦٧٨	ثلاثة كتب
٤٥	بيروت . بعض معاهدها		

٤٣٥ خ ٦٣٥ ص الحكمة الشرقية « كتاب »	( ج )
٦٦٢ الحكومات وشرائعها	٤٤١ خ ٦٤١ ص الجبان . عظمت وشقاؤه
٤٤٦ خ ٦٤٦ ص الحمى المعودة	٢٠٥ الجزر الطافية
٧٨٣ حياة اللفه ( كتاب )	٥٦٨ الحفة . اصلها
٨٧٥ الحيوان . ذكاؤه	٨٢٤ الجغرافي الأدرسي
( خ )	٣٧٣ الجليل . بضعة أيام فيه
٢٣٦ الخبز	١٢٣ الجسية
٨٧٤ - أكله	٨٤٨ الجنون . عصابة ضده
٤٣٧ الخزانة التيمورية	( ح )
٥٩٣ - الزكية	٨٧٨ الحاسيون . اعاجيبهم
٥٥٣ خزانة كتب عجبية	٨٧٤ الحبر . ازالته عن البط
٥٥٣ الخب الصاعى	٤٤٦ خ ٦٤٦ ص الحبوب النافعة
٨٠ - وقايته	٥٦١ الحثيون . ناولهم
٧٨ اخطر الاسود	٨٥٧ الحج المشوق
٥٥٥ - الاصفر	٥٤٦ حديث عيسى بن هشام ( كتاب )
٨٥٣ الخوف	٣١٧ حديقة . مدينة فيها
( د )	٨٠٠ الحر . لانقائه
٢٨٣ المدارس . آدابها والمدرس	٨٦٤ حرب عامة . نفاقها
٨٦٦ الدائمرك . مدارس الفلاحين فيها	٨٦٤ الحروب . جرحها
٩٣٦ دروس الاشياء ( كتاب )	٧٨٣ الخرية في الاسلام ( كتاب )
٢٩٦ دروس التاريخ الاسلامي كتاب	٤٣٥ خ ٦٣٢ ص الحسيني . مؤلفاته
٧٧٩ و ٢٥٤ الجغرافيا	٧١٤ الحضارة . دورها
٧٩٥ - الفقه	٤٨٠ - الاسلامية ( كتاب )
٤٣٥ خ ٦٣٢ ص الدكتور شمبل . مؤلفاته	٤٨٠ - القديمة
٢٣٦ الدم . نقله	٤٨١ حكم نابويون
٤٩٠ دمشق . فقيدها	٤٣٥ خ ٦٣٢ ص حكم النبي محمد ( كتاب )

( ز )	دمشق والقاهرة بينهما	٤٦٦
الزراعة وعبادة الطبيعة في الصين	الدولة والجماعة (كتاب)	٥٥٠
الزواج اخندي	الامتازية . ماليها	٨٦٤
( س )	الاطمية واوضاعها	٨٩٩
السامرة . آثار فيها	الدين الاسلامي (كتاب)	٧٧٦
٤٧٤٧ خ ٦٤٧ ص الكك الحديد الهوائية	دين مجبول	٢٣٦
السلام . جيت	ديوان ابي الحسن « كتاب »	٥٥١
سورية . اوربا فيها	الادب	٧٩٧
سورية . « كتاب »	الشمخ	٤٨٢
النهضة الفكرية فيها	الخالدي	٧٨٧
سويسرا . ثروتها	( ذ )	
السويس . ترعتها وتجارة الشرق	الذهب والفضة . محصولها	٣٠٦
( ش )	ذيل تاريخ دمشق « كتاب »	٢٣٠
الثام . المدارس الفرنسية فيها	( ر )	
خمرها	٤٣٨ خ ٦٣٨ ص الرجال . تفوقهم	٤٣٨
الشاب . مرآته « قصيدة »	الرحلة البنائية « كتاب »	٧٩٢
الشان . افكارم	٧٢١ و ٨٠١ رسالة في الكلمات المعربة	٧٢١
الشرق . المدارس الفرنسية فيه	رسائل مختلفة	٩٣٦
شرق . ياشرق	رمال تنغفي	٨٠
الشمب الانكليزي	رسائل متنوعة	٧٩٨
( ص )	روح القدس . اخوانه	٣٠٤
الصحافة الصفراء	روسيا التعليم فيها	١٥٩
الالمانية	الزراعة فيها	١٥٧
الصحافيون . ملكهم	الروضة البهية « كتاب »	٧٨١
الصحراء . بحرهما	الفيحاء	٣٣٣
	الريحانيات « كتاب »	١٥١

( ف )		ءءءء	٥٥٦
الفءءء الءءءء	٧٧	الصءء البءء . نلفوءءء	٤٨٧
فرنسا . الءءء ءلءءا	٢٣٧	( ط )	
الءءءة فءءا	٧٠٥	٦٥ و٤٣٤ءء ٦٣٤ ص طءءاء الاءء ءءاء	
طلاءنا فءءا	٧٠٨	طراءس الغرب . ءلائءا	٥٥٨
الفرءلءس . اءءءء	٧٠٧	الطرق . قءراءءا	٧٨
الفلسفة الءءءء	٤٨٧	الطءور . ءءاءءا	٧٩٩
الءءلاء الغربء	٧١٩	( ء )	
فنءءاء : ناءءءا	٨٧٤	الءاءء الاءءلاءء . فءءء	١٥٠
فءءاء الناس « رساءة »	٧١٦	الصءاءة فءء	٣٩١
( ق )		الءاءء الءءءء . ءءءء	٩٢٩
قاموس القءاءء الءءاءء « ءءاء »	٧٩٦	الءءاءة « ءءاء »	٧٧٩
القءلاء القءاءة	٥٦٢	الءءاءءة الاءءاءءة . ءاءءا	٩٤١
القراءة . فضءا	٧١٥	٤٣٦ءء ٦٣٦ ص ءءاءة اءءاءء « ءءاء »	
القرءء الءءءء . الءءءءة السءاءة	٨٠٨	الءراء . انءءءء	٩٤٧
فءء		٤١١ءء ٦١١ ص العرب . آءاءءءءءء	
القروءءءءءءء	٥٦٠	فءء اورءا	
القطر المءراءء . مءاءءة	٧١١	العرب . ءاءءءء آءاءءءء « ءءاء »	٣٣٢
قءءة نءاءء الاءءء	٤٩١	والءءءءاءة	٢٩٩
٤٤٥ءء ٦٤٥ ص القءوءة . الاءراءء فءءا		- مءءءءء	٤٠١
القءوءة وءءءا	٥٥٨	القءوءة الءءءء	٧٦
وءءاءء	١٠٨	القءوءء اللوءوءوءة « ءءاء »	٢٩٦
القءاءاءء . برءاءءا	٣١٩	المءء . اسماءء	٩٥٨
( ء )		الفءءءء	٤٥٨
ءاءءءءءء . الءءء	٧٣	( ء )	
الءءءءءء	٣٨١	الفءاء . الءراء ءلءءا	٥٦٠

المالوش	٨٤٤	الكبريت وأخضب	٤٨٥
مباحث لغوية	٤٢٣	الكتب . اضحى	٨٦٣
المجموعون . استردادهم	١١٩	٧٢ و ٥٤ او ٤٣٧ خ ٦٣٧ ص كتاب	
المجمع العلمي الميثوئي . تقاريره	٦٩٠	ورسائل مختلفة	
مجموعة احوال المؤتمري المصري	٥٤٨	الكتب . غلاؤها	٤٨٨
« كتاب »		كتاب الادب والمرؤة	٦٥٩
مجموعة المحررات، الياضجة	٢٩٣	كتاب الفبا	٣٤٤
« كتاب »		. البنين . نقده	١٣٨
المجموع المتحل على النور	٢٢٥	. جامع التعريب	٦٨٣
« كتاب »		. خالد	٢٩٥
مختارات البارودي « كتاب »	٤٨٢	. مخطوط	٦٧١
٣٧٩ و ٧٧٤ مخطوطات نادرة		. المهوف على قنلى الطوف	٧٩٦
الدرسة . واجبها	٣٩٢	كربلاء . حولها	٩١٨
المدنية	٨٥٩	كلمات نابوليون « كتاب »	٤٨١
الخطر عليها	٥٥٤		
مدينة كربلاء	٧٤٧	( ل )	
لاذباب فيها	٨٧٣	اللين	٣١٨
٥٠٥ و ٧٥٧ المدينة المنورة . رحلة اليها		اللدييات	٥٦٦
المرأة . العناية بها	٨٧٤	لغة العرب « مجلة »	٩٣٤
استشفيات القديمة	٧١٨	٣٢١ و ٤١٠ و ٤٠٤ خ ٦٠٤ ص اللغة	
المتعمرات الاجتماعية	٧٩٨	الانتقادية	
مصر ومصر « قصيدة »	٧٧٠	٢٠ و ٩٣ اللغة . هل نترد مجددا القديم	
المصاحفة والصحة	٥٦٧	٤٤٣ خ ٦٤٣ ص اللؤلؤ .	
مصر احصاء زراعي فيها	٥٦٥	زراعتها	٧٨
. التعليم فيها	٤٦٣	ليالي الروح الخائر « كتاب »	٤٨٠
. والمملكة الاسلامية	٥٢٥	( م )	
المطالب العلية « كتاب »	٧٩٥	الماء . خزنة	٥٥٩

نخبة الدهر	٣٦٥	المادن . اوائلها	٨٤٢
النساء تربيتهم	٧٠٩	المعارف « كتاب »	٧٠
٤٣٧ خ ٦٣٧ ص النساء ثورتهم		معجم ما استعجم	٧٦٥
النفقات الكيالية	٤٨٨	المعمرون	٤٥٣
٤٤٧ خ ٦٤٧ ص النساء . الصناعة فيها		ناديهم	٨٧٣
بندي . الطب فيها	٥٦٢	الميشة . غلاؤها	٩٣٩
( و )		انتقيس . السنة السابعة منه -	٢
الورق المعدني	١٦٠	٩٥٩ و ٤٨٦ ، صدوره	
الوسط « كتاب »	٤٨١	المكتاب . حفظها	٨٤٢
الوطن - حبه	٨١٦	ملقى السيل	٣
الولايات المتحدة . المرأة فيها	٣١٢	المسالك العثمانية . الاموال	٩٤٣
( ه )		الاجنبية فيها	
مدية انطمين	٧٩٧	المنابع . تبده	٨٧٧
الهنود مجلتهم	٥٥٢	الموسيقى العربية	٥٦٤
( ي )		( ن )	
اليابان والافيين	٨٤٧	نبات السود	٨٦٣
الذخلاق فيها	٣١٩	النبات . عيونه	٤٨٨
اليمن والدولة العلية	٣٩٦	نبذة مختصرة : مرة « رسالة »	٧٨٩
٣٥ و ٨١ و ١٦٩ اليمن وسكانها		النبا . سكره	٨٧٨
		النحام ومرادفاته	٦٦٦

